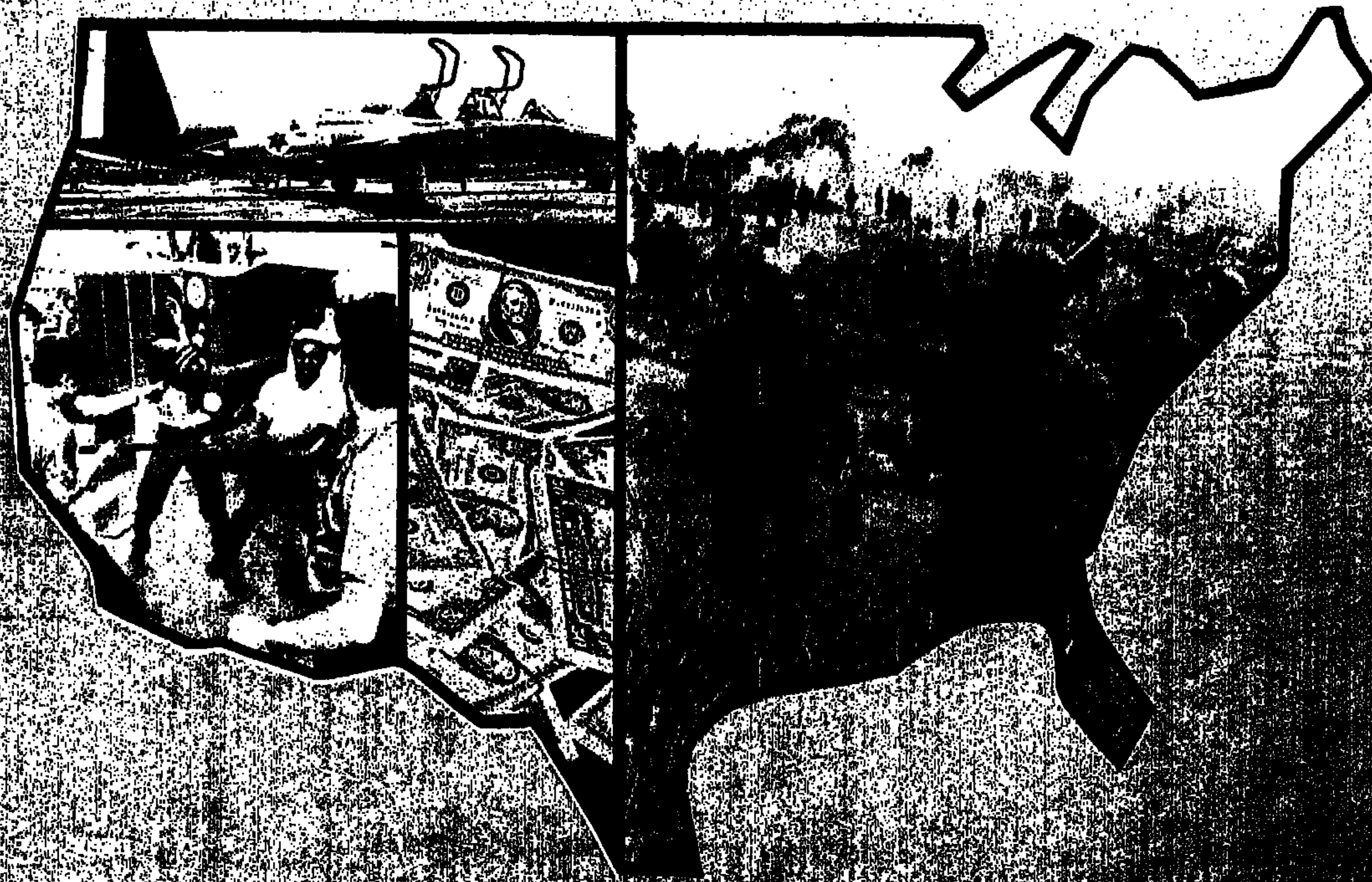
الأنوار الأسبوعي
بيروت الأحد في ٢٢ آب ١٩٧١ (العدد ٣٨٨٠)



المشكلة.. دائماً..



أخطر من دولار !

"الذي يأتي ولا يأتي!"

في الذكرى الاولى

□ في مثل هذا الاسبوع من العام الماضي انتخب الاستاذ سليمان فرنجية رئيسا للجمهورية اللبنانية ، واستقبل اللبنانيون انتخابه بالترحاب والتأييد ، لان مجيء الرئيس فرنجية كان بالنسبة لهم بمثابة امل جديد يطل على البلاد وفاتحة عهد يرجى منه الخير والرخاء .

ومن الانصاف القول ان هذا العهد لم يخيب امل المواطنين فيه ، فكانت السنة الاولى من الرئاسة حافلة بالاعمال والانجازات الكبيرة ، نذكر منها على سبيل المثال تطبيق نظام الضمان الصحي ، ورفع اجور العاملين في القطاعين العام والخاص ، ومكافحة الاجرام عن طريق تنفيذ احكام الاعدام ، وتحسين الوضع الاقتصادي بعقد الاتفاقات التجارية والسياحية مع البلدان العربية الشقيقة وبانفتاح لبنان على العالم العربي انفتاحا ايجابيا مصيريا . وكان نجاح موسم الاصطياف هذا العام دليلاً ساطعا على فعالية تلك الاتفاقات وبادرة مشجعة من بوادر التحسن الاقتصادي . ويجب الا ننسى ايضا في مجال تعداد الانجازات قرار تخفيض اسعار الادوية الذي صدر في الاونة الاخيرة .

ولكن هذه الانجازات كلها ، على قيمتها واهميتها ، لا تعني ان المواطن اللبناني اصبح مطمئنا الى غده ، امينا على حياته وحياة اولاده ، قادرا على ان يوفر لهم الغذاء والكساء والعلم والطبابة الى جانب السكن اللائق . ان زيادة ٥٪ على الاجور لا تعني القضاء على غلاء المعيشة وارتفاع الاقساط المدرسية ، وان تخفيض سعر الدواء لا يعني ان مشكلة الطبابة والاستشفاء قد انحلت بالنسبة للمواطن الفقير الذي لا يجرؤ على طرق باب طبيب او التفكير بدخول مستشفى ، وان تنفيذ بعض احكام الاعدام لا يعني كذلك ان الامن قد استتب وان الاستقرار قد عم .

نحن نعلم ان هذه « المعجزات » لا يمكن ان تتحقق كلها في عام واحد ، ولكننا نرجو ، في هذه الذكرى الاولى ، أن يكون القليل الرائع الذي تحقق حافزا لتحقيق الكثير خلال السنوات الباقية من عهد الرئيس فرنجية ، بحيث لا ينتهي هذا العهد الا ويكون اللبنانيون جميع اللبنانيين ، قد نعموا فعلا بالازدهار الذي يطمحون اليه والامن الذي يرغبون فيه .

— « الملحق » —

ملحق الانوار الاسبوعي

مجلة اسبوعية جامعة

رئيس التحرير :
روبير غانم

الاخراج :
جان بلطه

يصدر عن : دار الصياد للصحافة والطباعة والنشر ش.م.ل
رأسمالها ٣ ملايين و٣٠٠ الف ليرة
لبنانية مدفوع بكامله

المدير العام :
بسام فريحه

الادارة العامة والتحرير :
دار الصياد . الحازمية . ص.ب ١٠٣٨ - ٩١٨
تلفون : ٢٨٠٢٦٠ / ٤ خطوط
الاعلانات : مكتب خاص . بناية عبد ملاي وصالحة . الطابق الثاني غرفة رقم ٢٥ و ٢٦
شارع سوريا . تلفون ٢٩٥٨١٧ - ٢٥٥٠٨٣ - ٢٥٩٩٦١ - خط خاص للتوزيع ٢٨٥٨٧٨




المشكلة.. دائماً أخطر من دولار!

بقلم : مهى ياسمين

□□ « الذهب لا جنسية له » ..

في الرابع من شباط عام ١٩٦٥ ، قال شارل ديغول في مؤتمره الصحافي الشهير عبارته هذه .

واليوم يتذكرها الكثيرون .. يتذكرونها وقد تذكرها ريتشارد نيكسون بعد فوات الاوان وبعد وقوفه طويلا متفرجا على تسرب احتياط بلاده من الذهب .

في ١٨ دقيقة قرأ على الامة الاميركية سلسلة من الاجراءات هي من اخطر ما واجهته منذ اكثر من ١٨ عاما، منذ الرئاسة الروزفلتية .

سلسلة الخطوات الدراماتيكية التي اتخذها في وقف تبديل الدولار بالذهب لحساب المصارف المركزية ، وفرض ضريبة اضافية بنسبة عشرة بالمائة على البضائع المستوردة ، وخفض المعونات الخارجية بنسبة عشرة بالمائة، وتجميد الاجور والاسعار والايجارات فورا ولمدة ثلاثة اشهر وخفض الانفاق العام ، جاءت لتؤكد انتهاء حقبة من تاريخ النظام النقدي العالمي .

هذا النظام المعمول به استنادا ، الى معاهدات بريتون وودز (الاول من تموز عام ١٩٤٤) واجه منذ رؤيته النور غداة الحرب العالمية الثانيه سلسلة من الازمات الاقتصادية والمالية والسياسية، ظهر فيها فجاة ضعف الدولار بشكل صارخ وعلني في تشرين الاول من العام ١٩٦٠ ، في سوق العملة في لندن .

وفي السنوات الاخيرة اعلن افلاس اكثرمن شركة ومؤسسة اميركية وكان آخرها على اللائحه شركة سكك الحديد « بن سنترال » ، وارادت الولايات المتحدة تلافي تدهورا اكثر خطورة وابعد شمولا فاطلقت حنفيات قروضها وكان هذا ايذانا ببدء النهاية .

ان اغلاق اسواق المال الاوروبية ابوابها ، وانكباب كبار المسؤولين السياسيين والماليين في العالم على درس مضاعفات القرارات التي اعلنها الرئيس ريتشارد نيكسون لانقاذ الدولار تطرح تساؤلا دقيقا : الى اي مدى ستمضي واشنطن في خوض المعركة ضد خلفائها الماليين ؟

حتى الان لم يستقر الدولار على سعر معين ، وهذا يهدد ببروز كتلة اوروبية او تجمع يتعارض مع المصالح الاميركية ويهدد بنشوب حرب تجارية تشمل العالم ، ولا احد يعرف مدى نتائجها .

ان المخاوف اليوم متزايدة من وقوع نفور وتباعد بين اوروبا والولايات المتحدة وتأثير ذلك بالنسبة لنظام الدفاع عن اوروبا .

بانتظار جلاء الموقف ، نعود الى طرح الموضوع من الجذور .

لم تكد تمضي اشهر ثلاثة على الازمة المالية الاخيرة التي ادت الى تعويم المارك الالماني والفلوران الهولندي ورفع سعر الفرنك السويسري والشلن النمساوي ، حتى اطلت على العالم هذه الازمة المالية الدولية التي ستنتهي دون ريب ، الى تخفيض في قيمة الدولار الاميركي .

وهذا التخفيض اصبح واردا بعد ان ارتبطت الولايات المتحدة بديون تتراوح بين [illegible] وخمسين مليار دولار . ولا تملك الخزينة الاميركية سوى عشرة مليارات من اصل هذا المبلغ هي كل ما بقي لديها من احتياط ذهبي . من هنا ان الدولار حاليا لم يعد قابلا للصرف .

ومن الواضح انه عندما تصل دولة ما الى وضع مالي لا يسمح لها بدفع ديونها ، تكون عملتها الضعيفة ، اذ لا تعود موضع ثقة ، تفقد قيمتها وتحاول المتعاملون بها التخلص منها باستبدالها بعملات اخرى ، وهذا بالطبع يفقدها قيمتها الفعلية .

وهذا الوضع كان منتظرا . ولفت اليه العديد من الخبراء الماليين ، كجاك رويف قبل عدة سنوات ، وذلك لسبب بسيط للغاية يعود الى التدهور المتواصل في ميزان المدفوعات الاميركي .

والاميركيون الذين كانوا في وقت مضى دائني العالم (وفق مشروع مارشال الذي ساعدت بموجبه الولايات المتحدة اوروبا الخارجة لتوها من الحرب) ويملكون اعظم احتياطي للذهب (حوالى عشرين مليارا في قلعة فورت — نوكس) بداوا يقعون منذ عام ١٩٦٠ تحت طائلة الديون . واخذت الارباح التي كانت تسجلها تجارتها الخارجية تتضاءل تدريجيا حتى هبطت الى الصفر في الاشهر الاولى من العام الحالي ، في الوقت الذي استمر فيه خروج الرساميل من الولايات المتحدة بفعل حرب فيتنام والتوظيفات الخارجية . ونتيجة لذلك وصل العجز في ميزان المدفوعات الاميركي خلال السنوات العشر الاخيرة حوالى ثلاثة مليارات دولار سنويا ، الى ان ضرب رقمه القياسي هذا العام اذ وصل الى عشرة مليارات دولار .

اغنى البلاد ... افقرها ؟

ولكن كيف يمكن لاغنى بلد في العالم ان يعاني من المصاعب المالية الضخمة ؟

كما هو الحال بالنسبة للافراد ، كذلك بالنسبة للدول . وحتى المليارديرالذي تتعدى مصاريفه وارداته يضطر للاستدانة فيفقد رصيده وينتهي الى الافلاس .

ومنذ سنوات والولايات المتحدة تنفق في الخارج اكثر مما تكسب ، وابتلعت الهوة الفيتنامية مليارات الدولارات وقامت المؤسسات الاميركية الكبرى بشراء شركات كاملة في الصناعة الاوروبية ، في ميادين السيارات والالكترون والنفط الخ ..

وبدا الممولون يعيدون النظر في وضع المصدر الاول ويطالبون بحساباتهم كاملة ، بعد ان سكتوا بالامس امام سحر « الدولار السيد » ورضخوا لمشيئته .

ذلك ان اسطورة الدولار الذي يعادل الذهب ظلت راسخة في عقول رجال المال وظلوا يعتقدون بمناعته حتى كان الربيع الماضي ، وكان امتناع البنوك الاوروبية عن قبول مليارات الدولارات المعروضة عليهم ، وانهارت الاسطورة .

والسؤال الان : لماذا يلجا اليوم الى خفض قيمة الدولار ، على اساس ان لا مفر منه ، بينما الوضع المالي الاميركي المتدهور يعود الى سنوات ؟!

طويلا طويلا وتدهور الوضع الدولي للدولار يسدل عليه ستار كثيف من التمويه والحلول القريبة الاجل . وكانت الخزينة الاميركية في كل مرة تعلن عجزا في ميزان مدفوعاتها وتعطي رقما مغايرا للواقع . يضاف الى ذلك التقاء جميع المصادر الخارجية في العالم الغربي لاسباب سياسية واستراتيجية وبضغط من واشنطن على تجنيب الولايات المتحدة القيام بالتزاماتها ودفع الديون عند الاستحقاق .

مثلا تحاشت معظم البنوك الغربية التي اصبح لديها « ستوكات » كبيرة من الدولارات في مال الاحتياط لديها ، ان تطلب من الولايات المتحدة دفع قيمة هذه الدولارات ذهبا كما هو مفترض .

يضاف الى ذلك موقف بعض البنوك المركزية، كمصرف بون مثلا الذي كان يلجا الى « المسكنات » فيشتري بقيمة المال الذي له عند الخزينة الاميركية سندات عليها وهي السندات المعروفة باسم « بون رووزا » .

وهناك نقطة هامة لا بد من الاشارة اليها وهي ان الدولار الذي كان يعتبر عملة مالية دولية معادلة للذهب وفق معاهدات « بريتون وودز » الموقعة العام ١٩٤٤ ، يتمتع بامتياز خاص : فالبنوك المركزية مضطرة الى دعم الدولار في اسواقها ، ووفق سعره الرسمي ولو ادى ذلك الى شراء كميات كبرى منها في سوق تبادل العملات .

وعندما اعلنت النتائج المذهلة لميزان المدفوعات الاميركي للعام ١٩٧٠ ، ادرك الخوف والهلع رجال البنوك والمسؤولين عن كبريات الشركات الدولية وايقنوا ان عجزا اكبر سيصيب الاقتصاد الاميركي في عام ١٩٧١ .

المارك يحلق عاليا

واخذت بضعة بنوك مركزية ، تطالب ، الخزينة الاميركية بسرية تامة ، استبدال مئات ملايين الدولارات بما يعادلها من الذهب . بينما سعت اخرى الى زيادة احتياطها من الذهب بصرف ملايين الدولارات في الاسواق العالمية . وراى المضاربون ان الفرصة سانحة لطرح العملة الاميركية في الاسواق واستبدالها بعملات صعبة متينة وراسخة وقابلة للارتفاع ، وبذلك يحققون ربحا سريعا .

وانطلاقا من هذا الوضع حدث ما حدث في الربيع الماضي وهام الشراء حول المارك الالماني ، لدرجة اصبح معها يهدد النظام المالي لالمانيا الاتحادية بمجمله . وردت حكومة بون بتعويم المارك ، واصبحت عملية بيع الدولار من المارك مرهونة بحالة العرض والطلب لا وفق اسعار محددة سلفا كما كان الامر في السابق .

والهدف الذي رمى اليه كارل شيللر وزير مالية المانيا الغربية بهذا التعويم ، هو خذلان المضاربين ووضع حد لتهافتهم على بيع الدولار من المارك — اذ ان ذلك سيؤدي الى ارتفاع سعر المارك مما يدفع بالمضاربين الى التراجع — لم يتحقق ، اذ تبين ان حسابات الوزير الالماني خاطئة فاستمر الحذر من الدولار واستمر التهافت على المارك حتى اصبح سعره اليوم بزيادة ثمانية بالمائة عما كان في السابق . وبذلك لم يحدث الانفراج المالي المرتقب بتعويم المارك والفلوران الهولندي ورفع سعر الفرنك السويسري والشلن النمساوي .

وادى هذا الفشل السريع لمحاولة اقامة جبهة مالية دولية الى وضع الدولار في واجهة الاحتمالات . واصبحت عملية اعادة النظر في قيمته امرا لا بد منه .

الذهب : ذهبان

ومن هنا جاء ارتفاع سعر الذهب والصرف المضاربون الى شراء المعدن البراق وبيع الدولار . وكانت النتيجة ان اوقية الذهب التي كانت تساوي ٣٥ دولارا في عام ١٩٣٤ اصبحت تساوي ٤٠ دولارا ثم ٤٤ دولارا في اسواق العملة في لندن لاسابيع خلت .

وراى المختصون ان ارتفاع سعر الذهب بنسبة عشرة في المائة وفي فصل الصيف ،دلائل خطيرة وذات مغزى بالنسبة لتازم الوضع المالي الدولي ، ذلك ان هذه الفترة من السنة تسجل عادة انخفاضا لاسباب موسمية. فالهند، التي تعتبر احدى اكبر الدول المستوردة للذهب في العالم ، تحد من عملية الشراء هذه فصل الصيف . لان هذا المعدن يصلها عادة بطريقة او باخرى ، مهربا في مراكب شراعية .. ولكن الامطار الموسمية التي تعصف بالهند في شهري تموز واب وتثير في المحيط الهندي عواصف كبيرة تحول دون ابحار هذه المراكب بانجاه الشواطيء الهندية .

ولكن كيف سيلجا الرئيس نيكسون الى تخفيض قيمة الدولار ، وهل هذا الامر ممكن سياسيا وقانونيا ؟

كان يظن حتى امد قريب ان خفض سعر الدولار سيشكل ضربة قاصمة لهيبة الولايات المتحدة ولن يجرؤ اي رئيس للجمهوريةالاقدام عليه وتحمل نتائجه السياسية .

غير ان الرئيس نيكسون الذي استطاع ان يظهر امام الراي العام الاميركي ان الانسحاب العسكري الاميركي التدريجيمن فيتنام والامتناع عن الخوض ، كما في السابق ، في الشؤون الاسيوية ، وزيارة بكين ، هي الى حد بعيد ضربات موفقة ناجحة بل انتصارات ، يستطيع المضي قدما في اعلان تخفيض سعر الدولار واظهار الامر كاجراء لا بديل منه لاخراج الاقتصاد الاميركي من التخبط والضياع وافساح المجال امام مستقبل مزدهر يتوق اليه كل اميركي .

وقد حذرت الاوساط المالية في وول ستريت لهذا الامر عندما اشارت اليه صحيفة « الواشنطن بوست » الاميركية وتوقعتهاللجنة الاقتصادية في الكونغرس الاميركي برئاسة هنري روس .

يضاف الى ذلك ان التشريع المالي الاميركي والاتفاقات المعقودة مع صندوق النقد الدولي تسمح للرئيس الاميركي باتخاذ قرار التخفيض دون تفويض مسبق من الكونغرس الاميركي .

الدولار اليوم عبءٌ ؟

والان ، وازاء هذا الوضع ، لا بد من ايجاد تسوية بين وضع الدولار ووضعالعملات الاوروبية الاخرى ؟

ان وضع العملة الاميركية اليوم غيره بالامس . فبعد ان كان الدولار وحدة مالية لها نفس قيمة التبادل التجاري التي للذهب ،وبعد ان كانت وسيلة التعامل شبه الوحيدة بين الدول الشيوعية والعالم الراسمالي الخ .. اصبحت عبئا حتى على المواطنين الاميركيين خارج بلادهم .

فعندما نزل سائح اميركي من فندقهالفرنسي وقصد فرنا لابتياع رغيف يفطر به ، قدمللبائعة دولارا كاملا ، فنظرت اليه السيدة الفرنسية، رغم مرور يوم واحد على اعلان الرئيس نيكسون قراراته الخطيرة ، واستعادت « رغيفها » منه وهي تقول له شذرا : « هذا لم يعد يساوي شيئا » .

طبعا لا يجب ان يصل الامر الى هذاالحد. اذ ليس من المصلحة بشيء اعلان افلاس الولايات المتحدة لان ذلك سيؤدي الى زلزال اقتصادي ومالي سيشمل العالم برمته شرقه وغربه على السواء .

ولا بد ان تنتهي تجربة التحدي القائمة حاليا بين العواصم المالية العالمية الى تسوية بين الاوروبيين والاميركيين . فاذا قبل الاميركيون بتخفيض سعر الدولار كان يلجاوا مثلا الى رفع سعر اوقية الذهب بنسبة عشرة او خمس عشرة بالمائة ، بينما يسعى الاوروبيون الى رفع قيمة عملاتهم الى ثلاثة او اكثر (كما هو الحال بالنسبة للالمان الغربيين) ، امكن بعث انفراج نسبي في الجو المالي العالمي .

ومهما كانت الحلول والتسويات فلا بد ان تؤدي الى اعادة النظر في نظام النقد المالي الدولي من اساسه ، ونقض معاهدات « بريتون وودز » بشكل يحد من الامتيازات الممنوحة للدولار ، خاصة وان هذه الامتيازات لم تعد تتناسب مع وضع قيمة واولوية العملات العالمية حاليا .

واذا ما تم التوصل الى اتفاق بهذا المعنى، وتحققت عملية معادلة نسبية لجميع العملات العالمية ، امكن ساعتئذ تحقيق بعض النتائج .

منها مثلا حدوث تخفيض لقيمة الدولار وهذا سيؤدي الى منافسة عادلة وبناءة بالنسبة للمشاريع الاميركية في الاسواق الاوروبية ، ويتيح بالتالي اعادة التوازن لاوضاع الولايات المتحدة المالية في الداخل والخارج ويقضي على احد اكبر مصادر التضخم المالي في العالم .

وفي الوقت نفسه تقوم اليابان والدول الاوروبية برفع قيمة عملاتها ، فتكون اقل عرضة للمنافسة في الاسواق العالمية . ولا شك ستصيبها مرحلة من الانكماش الاقتصادي يقابلها جمود في ارتفاع الاسعار .

اما الرجل العادي ، فسيشعر في الامد غير البعيد ان « الحلقة الجهنمية » في ارتفاع الاسعار والاجور على السواء ستتوقف نوعا ما وسيختفي المظهر المزيف للازدهار الاقتصادي .

والنتيجة الاخيرة ان هيبة ووزن الولايات المتحدة في الميدان الاقتصادي سيتأثران الى حد بعيد . وستخف كثيرا امكانيات تدخلها في الخارج ، اي ان ماساة فيتنام لن تعاد ، على الاقل في المدى القريب .



لو عاش الجنرال ديغول ...



□ كارل شيللر وزير مالية المانيا الغربية .. لعبة موفقة ! □



□ نيكسون .. اجراءات مبتكرة لانقاذ الدولار ! □

هكذا من الاصل

نقاط قابلة للنقاش يثيرها كتاب :

"فلسفة الحركة الوطنية التحررية"..

□ غلاف الكتاب □

□□ « فلسفة الحركة الوطنية التحررية » كتاب ايديولوجي لنسيب نمر (صدر حديثا من دار الرائد العربي) ، يحلل أزمة اليسار العربي والعالمي ، ودور التحريفية والدوغماتية السلبي في الحركة الاشتراكية ، والحركات الثورية ، وينتقد مواقف القوميين السوريين والشيوعيين الكلاسيكيين ، ويبحث في خروج المنظر الفرنسي روجيه غارودي من الاشتراكية العلمية وبروز صادق جلال العظم في مؤلفه « نقد الفكر الديني » مثاليا في المسالة الاساسية للفلسفة ، ويحدد الاطار الجدلي للارتباط بين محتوى الثورة الفلسطينية القومي والطبقي ، ويضع المرتكزات الرئيسية والطريق الموضوعي للحوار بين الملحدين والمؤمنين ، فما هي هذه « الحركة الوطنية التحررية » التي يعتبرها المؤلف ظاهرة جديدة في الفكر الاشتراكي ؟

الاساس الفلسفي للحركة

انها ليست حركة ثالثة حيادية بالنسبة الى النضال التاريخي بين المادية والمثالية ، وبين الاشتراكية والراسمالية .

انها حركة حزبية سواء كانت حزبيتها في نطاق الفلسفة والنظرية ، ام في نطاق العمل والتطبيق . وهي تلتقي بالاشتراكية العلمية ، ولكنها لا تاخذ ذات الاشكال للاشتراكية العلمية في بلدان معينة ، كما لا تاخذ ذات الطريق الذي سارت عليه تلك البلدان .

وهي مطلقة ونسبية معا ، عامة وشاملة ونوعية اقل شمولا في آن . مطلقة من حيث انها تهدف في نهايتها الى الغاء استثمار الانسان للانسان تماما ، ونسبية من حيث انها ماخوذة — فلسفيا وتطبيقيا — بالنسبة الى الطور التاريخي الذي وصلت اليه مجتمعاتها التي هي كذلك ليست على درجة واحدة من التطور .

وهي عامة وشاملة لانها تستند الى سنن شاملة عامة هي الحركة الديالكتيكية في الكون والمجتمع والفكر ، ونوعية اقل شمولا لان لها حركتها الديالكتيكية النوعية الخاصة بهـا .

وايديولوجية الحركة هي فلسفة اشتراكية علمية ، وليست هي الفلسفة الاشتراكية العلمية ذاتها وبالضبط . انها تدرسها مع اقسامها المكونة الثلاثة : الفلسفة الالمانية ، والاقتصاد السياسي الانكليزي ، والاشتراكية الفرنسية ، كما تدرس الافكار المادية والاشتراكية والديالكتيكية والاجتماعية الثورية في التراث العربي .

بين غارودي وروشه والعظم

كمن لبدء الحوار بين الشيوعيين الفرنسيين والكاثوليك ، اطلق روجيه غارودي ريبته في اولية الكائن فقال :

« فاذا كنا لا نريد ان ننتهي الى مواجهة ميكانيكية بين مستقبلين مغلقين ، فان علينا — مسيحيين وماركسيين — ان ندرك اننا لن نستطيع فهم بعضنا بعضا الا اذا غيرنا ، نحن وهم ، من نفوسنا . وهذا يفترض اولا الا نعتبر انفسنا قابضين على ناصية حقيقة مطلقة ، جاهزة ونهائية » .

وفي احد اجتماعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي ، ناقض فالديك روشه الامين العام للحزب قول غارودي . قال روشه : « وعلى الصعيد الفلسفي ، صراع عقائدي ضد كل محاولة لتغطية التعارض القائم بين الفلسفة المادية وبين مبدأ الدين نفسه . واننا نرفض كل تفسير متعصب ومحدود للظاهرة الدينية . ونحن لا نتصور التفكير الديني على صورة احادية ، وحيدة الطرف ، لا نرى فيه الا الجانب الذي يجعل منه كابحا وعائقا امام التقدم الانساني » .

يرى نسيب نمر ان عبارة غارودي الآنفة تطال عدم صحة الخرافة « الجاهزة » والنهائية التي كانت احد جوانب انتقادات لينين لهيغل ، والتي وضعها هيغل ، على العام والخاص ، على الكل والجزء ، حتى على الجواب عن المسالة الاساسية الكبرى في الفلسفة التي تقسم الفلاسفة الى معسكرين كبيرين هما معسكر المثالية والمادية ، وهذا ما يشيره المؤلف قريبا بالنسبة الى ملكسر كروجيه غارودي .

ويشير المفكر اليساري نسيب نمر ، الى ان الخطا الذي وقع فيه روجيه غارودي كرره ، بوضوح اكثر ، الدكتور صادق جلال العظم في كتابه « نقد الفكر الديني » ، حيث قال :

« في الواقع ، علينا ان نعترف بكل تواضع بجهلنا حول كل ما يتعلق بمشكلة المصدر الاول للكون . عندما تقول لي : ان الله هو علة وجود المادة الاولى التي يتالف منها الكون ، واسالك بدوري : وما علة وجود الله ؟ ان اقصى ما تستطيع الاجابة به : « لا اعرف ، الا ان وجود الله غير معلول » . ومن جهة اخرى عندما تسالني : وما علة وجود المادة الاولى ؟ فان اقصى ما استطيع الاجابة به « لا اعرف ، الا انها غير معلولة الوجود . في نهاية الامر اعترف كل منا بجهله حيال المصدر الاول للاشياء » .

ويحدد المؤلف خطا العظم « الذي هو اكثر سفورا وبروزا من خطا غارودي ، رغم ان خطا العظم مصدره خطا غارودي » ، هو انه النفي اللانهائي المادي عندما افترض وجود المادة الاولى . « افتراض وجود المادة الاولى يعني ان لها موجدا ، وهذا الموجد يستحيل ان يكون مثلها لانه اذا كان مثلها بطل كونها المادة الاولى ، واذا لم يكن مثلها — اي مادة — بطلت بالتالي اولية الكائن » .

ويعتقد نسيب نمر ، ان غارودي عندما ينفي القبض « على ناصية حقيقة مطلقة » ، يكون قد نفى الحقيقة المطلقة ، واقر بالحقيقة النسبية . ولكن الاقرار بالحقيقة النسبية وحدها او بالحقيقة المطلقة وحدها ، ينفي الحقيقتين معا . « فلا حقيقة مطلقة دون حقيقة نسبية ، ولا حقيقة نسبية بدون حقيقة مطلقة » .

اما الرد على افتراض العظم وجود مادة اولى ، فيتركز على ان هذا الافتراض قد افترض بدوره بداية للمادة ، اي انه نفى الحقيقة المطلقة واقر بالحقيقة النسبية ، وبالتالي فان اقراره بالحقيقة النسبية شكلي لانه « لا حقيقة نسبية بدون حقيقة مطلقة » .

المعري من ينابيع فلسفة الحركة

تستند فلسفة الحركة الوطنية التحررية ، في جمه ما تستند ، الى فلسفة ابي العلاء المعري وديالكتيكه . وهي ترى ان اعمى المعرة الذي توصل الى الربط بين الحقيقة المطلقة والحقيقة النسبية في ديالكتيكه العفوي ، قد توصل كذلك ، الى الحقيقة المطلقة في فلسفته عندما قال في رسالته الى ابي القاسم الحسين بن علي المغربي المعروفة برسالة المنيح ، والمنيح سهم من سهام الميسر مما لا نصيب له الا ان يمنح صاحبه شيئا : « لينال خلود الزمان ، وتعطيه الحوادث اوكدامان» .

ويذهب نسيب نمر الى انه ، اذا كان ابو العلاء قد وضع الاحتمالين معا ، وحتى انه احيانا رجح المفاهيم الدينية ، فان مشكلته تختلف عن مشكلة غارودي والعظم ، لكون عصره متاخرا عن عصرنا حضاريا وعلميا ، ولان المادية العلمية لم تكن بعد قد رات النـور .

ولا يستغرب المؤلف ان يقع مادي اصيل في خطا مثالي ، نتيجة تغلغل المثالية في الافكار منذ قرون ، « ولان كثيرين من الماديين ينزلقون على قشرة الموز المثالية التي تزحلقهم الى افتراض وجود المادة الاولى وليست الاولية ، والفرق كبير واساسي ومتعارض بين ان تكون ثمة مادة اولى او ان تكون اولية . ان تكون ثمة مادة اولى فهذا يعني وجود شيء غير مادي قبله ، ويعني انها محدودة ، وبالتالي بطل كونها اولية وصار نقيضها هو الاولي » .

هل تشيخ الاشتراكية العلمية ؟

هنالك فئة يصنفها الكتاب بين الجاهدين عقائديا تقول : الاشتراكية العلمية لا تشيخ ولا يفوت اوانها وزمانها .

والتحريفيون يقولون العكس . فماذا تقول فلسفة الحركة الوطنية التحررية ؟

الاشتراكية العلمية تشيخ ، في نظرها ، ويفوت اوانها وزمانها في امور ، ولا تشيخ في امور اخرى ، باعتبار ان حقيقتها العامة وتجربة مبادئها الاساسية تحافظ على شبابها ، بينما تهرم او تموت تطبيقات وبرامج معينة .

اما المبادىء الاساسية والحقيقة العامة للاشتراكية العلمية ، وبالضبط المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ومصدر القيمة الزائدة وانتاج الخيرات المادية ، فانها سنن عامة ليس باستطاعة حركة ثورية في التاريخ المعاصر البقاء ثورية بدون الاستناد اليها والارتكاز عليها .

وما شاخ من الاشتراكية العلمية وتخطاه الزمن ، نماذج وقوالب معينة وصور محددة ظهرت في بلدان او احزاب اشتراكية معينة .

ويشدد الكتاب على انه من الجمود العقائدي الضار بحركتنا الثورية العربية محاولة تطبيق الاشتراكية العلمية كما طبقت وتطبق في الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية او اي بلد اشتراكي اخر . كما انه من التحريفية الضارة بحركتنا الثورية العربية محاولة ابعاد الاشتراكية العلمية عن واقعنا العربي الموضوعي ، واعتبارها تيارا فلسفيا وعلما لا علاقة له بتطور وطننا العربي .

اليساريون العرب والاشتراكية

يصور نسيب نمر بعض اليساريين العرب منجرفين وراء الاشتراكية كمادة ترف فكري ، مكتفين منها بالتفسير ، والغرق في بطون الكتب والمؤلفات الكلاسيكية النظرية دون ان يقوموا بدور فعال في الانتقال من مرحلة التفسير الى مرحلة التغيير .

ويتطرق الى طائفة اخرى من اليساريين العرب ، تحاول القيام بعملية التغيير دون القيام بعملية التفسير . ويحذر من ان هذين الفريقين ، اذا لم يقوما بهاتين العمليتين المترابطتين ديالكتيكيا ، فقدوا دورهم كطليعة رائدة قادرة على العمل ، وتحولوا اما الى مسجلين للاحداث ، واما الى غارقين في الاعمال اليومية الروتينية غير الهادفة .

ويذكر بان الازمة الايديولوجية في الفكر الاشتراكي العربي وصلت الى حد جعل بعضهم يقول : اني استخدم عبارة الاشتراكية العلمية بدل الماركسية اللينينية ، والمحتوى واحد وهما شيء واحد ، وذلك كي يتقبل الناس ما اقوله ، وكي لا يخافوا من عبارة الماركسية اللينينية .

ويوضح ان خطر اصدقاء الفلسفة الاشتراكية العلمية غير الواعين يوازي خطر اعدائها عليها ، « لانه ليس من نظرية تبتلي باعداء واعين واصدقاء جهلة وتبقى مستطيعة الوقوف على رجليها ، كما ليس مثل الصديق الغبي من يخدم العدو الذكي » .

ويعزو المؤلف سبب التفكك والتنازع والازمة الراهنة في الصف العربي الثوري الاشتراكي ، الى فقدان النظرية الثورية العربية القومية المرتبطة بالنظرية الثورية العالمية الاممية .

« ضياع القوميين السوريين »

ينتقد الكتاب العقيدة القومية السورية التي تنفي عنها في رايه صفات الشمول والكلية والفلسفة ، ما دامت لا تصل الى « شؤون ما وراء الطبيعة » . ومن هذا المنطلق يرى المؤلف ان القوميين يبـدأون ميتافيزيكيين لا ديالكتيكيين ، وذلك عندما يفصلون بين الطبيعة وبين ما وراء الطبيعة . ثم يخلص الى التساؤل :

هل يختلف عقل القوميين عن عقل توما الاكويني عندما يقفون عند حد ، ويستسلمون امام « ما وراء الطبيعة » ؟

واذا كانوا كذلك ، فلماذا لا يقولون انهم مثاليون في ميدان الفلسفة ؟ هل هم ماديون ام مثاليون ؟ وايهما اولي : الكائن ام الفكر ؟

★ ★

هذه هي معظم النقاط الرئيسية التي اثارها كتاب « فلسفة الحركة الوطنية التحررية » . وهو يشكل ، في معظم فصوله ، سلاحا نظريا للحركة الثورية العربية المعاصرة ، لانه بين الكتب الايديولوجية القليلة التي تبحث ، بعمق وجراة وموضوعية وروح فلسفية ، قضايا اساسية في الفكر الاشتراكي العلمي المعاصر .

حافظ محفوظ

النازحون.. اقتلاع ونفي..

دراسة تبيّن بالأرقام جوانب من مأساة فلسطين المحتلّة

مباشرة . كان الدكتور حليم بركات وبيتر ضود قد قاما بزيارة الى مخيمات النازحين الذين غادروا فلسطين اثناء حرب حزيران الى الضفة الشرقية . وفي المقدمة يقول المؤلفان :

خلال شهري حزيران وتموز الاخيرين (عام ٦٧) عبر عدد ضخم من سكان الضفة الغربية نهر الاردن باحثين عن ملجا في الضفة الشرقية . وفي خروجهم يبدو ان التاريخ يعيد نفسه . اعداد متشابهة من الفلسطينيين نزحوا من منازلهم عام ١٩٤٨ واصبحوا لاجئين مقتلعين من جذورهم ومحرومين من منازلهم وارضهم . لقد حدث النزوح سنة ١٩٤٨ خلال سنة كاملة من الكفاح والهجوم . اما النزوح سنة ١٩٦٧ فقد جرى بشكل سريع وخاطف نتيجة لحملة عسكرية قصيرة واحدة .

ان احدا لم يهتم بدراسة اسباب النزوح سنة ١٩٤٨ فتمكنت اسرائيل من اقناع العالم بان النزوح تم بناء على طلب القادة والحكومات العرب . ومع ان محنة سنة ١٩٦٧ كانت موضوع اهتمام صحفي واسع ، الا ان اهتماما ضئيلا كان قد جرى لمعرفة الاسباب الحقيقية وراء النزوح الذي ما يزال مستمرا .

النازحون الجدد

كانت مهمتنا كباحثين يهمهم الحصول على معلومات دقيقة ان نهدم الحواجز بيننا وبين النازحين ونكسب ثقتهم . وقد تحقق لنا ذلك على النحو التالي :

عندما وصلنا الى المخيم قدمنا انفسنا على اننا فريق من الاساتذة والطلبة العرب في علم الاجتماع والطب في لبنان والاردن نرغب ان نعيش معهم في المخيم لمدة اسبوعين او ثلاثة من اجل تقديم مساعدات اجتماعية وطبية . وهذا ما قمنا به اثناء وجودنا في المخيم .

وفي الايام الثلاثة الاولى تهدمت الحواجز بيننا وبينهم واصبحوا يألفون وجودنا بينهم ، بل انهم سروا لوجودنا في المخيم ، وقد اخذوا يعبرون لنا عن مشاعرهم ، فاخبرونا ان الاوضاع تحسنت منذ وصلنا وان الطعام والملابس والعناية توزع بالعدل لاننا نشترك في توزيعها ، وكان اعضاء الفريق يعملون طيلة النهار دون شعور بالتعب ودون تافف من الحر الشديد وعواصف الغبار ، وقد استقبلوا بعض قوتهم من الكرم والاحترام والمحبة التي غمرنا بها النازحون . كل عائلة تريدنا ان نزورها اكثر وقت ممكن .

وقد تم اختيار مخيم زيزياء بعد قيامنا بجولة على المخيمات الاخرى فتبين لنا ان هذه المخيمات متشابهة من حيث نوع الناس الذين يقيمون فيها ، كل واحد من هذه المخيمات يضم اناسا من جميع انحاء الضفة الغربية ، وذلك لان عملية

ولم تجر حسب المنطقة او الطبقة او اي ترتيب اخر . وقد جاءت العينة الممثلة التي اخترناها في مخيم زيزياء (كل ثالث خيمة) لتثبت ذلك . لقد تبين لنا بعد ان اخترنا العينة فورا انها تضم عائلات من ٤٥ قرية او بلدة او مدينة في الضفة الغربية . وبكلام اخر ان كل منطقة من مناطق الضفة الغربية ممثلة في هذه العينة ، فهناك ٢٣ بالمئة جاؤوا من اريحا والقرى والمخيمات المجاورة ، و ٢٧ بالمئة من منطقة القدس ، و ١٤ بالمئة من منطقتي نابلس وجنين ، و ١١ بالمئة من منطقتي رام الله واللطرون ، و ١٠ بالمئة من منطقة الخليل ، و ٤ بالمئة من بيت لحم ، و ٢ بالمئة من غزة (في اوائل شهر ايلول لم يكن قد بدأ النزوح الجماعي من غزة) .

وفي هذه الدراسة سنكتفي بالتحدث عن هذه العينة الممثلة لمخيم زيزياء (مئة عائلة) .

النازحون : من هم ؟

هناك آراء ونظريات تؤكد ان الذين نزحوا هم على الاغلب طبقة معدمة كانت دون عمل دائم ولم تكن تملك ارضا او منازل او اي شيء ذي قيمة غير جوعها . ويضيف بعض هؤلاء ان النازحين جماعة متنقلة لا ترتبط باي منطقة . وكثيرا ما يرافق هذه الاراء نظريات تؤكد ان مثل هؤلاء الناس ليس لديهم ما يخسرونه بنزوحهم ، فمن الطبيعي ان يلجأوا الى الهرب عند اقتراب الخطر .. الخ .

هل هذه الاراء والنظريات صحيحة ؟ سنحاول في قسم آخر من هذه الدراسة ان نبين نوع الاسباب التي ادت الى النزوح ، هنا سنحاول ان نقدم ادلة ومعلومات تريننا ان الذين تركوا الضفة الغربية اثناء حرب حزيران الاخيرة او بعدها هم جماعة مرتبطة بمناطقها ، وقد خسرت اشياء كثيرة عزيزة عليها بنزوحها .

ان ٢٧ بالمئة فقط من العينة الممثلة في مخيم زيزياء هم لاجئون سابقون . الاغلبية هي عائلات تركت مناطقها لاول مرة ، وان النازحين الجدد يؤلفون ٦١ بالمئة من مجموع النازحين في مخيم زيزياء . ولدينا ادلة على ان ذلك ينطبق على المخيمات الاخرى . اما النازحون الى المدن مثل عمان فمعظمهم ايضا نازحون جدد تركوا منازلهم ومناطقهم لاول مرة .

من الادلة على ارتباط النازحين بمناطقهم ان الجدد منهم اقاموا طيلة حياتهم في منطقة واحدة . ان ٥٧ من اصل الـ ٦١ عائلة نزحت لاول مرة (اي حوالي ٩٣ بالمئة) اقامت عشرين سنة واكثر في منطقة واحدة ، بمعظمهم عاشوا هناك كل حياتهم . ومن اباهم عاشوا ابائهم . ويمكن القول ، ان اللاجئين السابقين

المناطق التي نزحوا اليها سنة ١٩٤٨ .

اما الدليل الرابع على ارتباط النازحين في مجتمعاتهم فهو وجود عدد كبير من الاقارب في نفس المنطقة التي كانت تعيش فيها العائلات النازحة . ان لديهم في مناطقهم اقارب عديدين كانت تربط بينهم روابط وثيقة وودية . تدل معلوماتنا ان عائلتين من اصل الـ ٦١ عائلة التي نزحت لاول مرة لم يكن لديها اقارب في المناطق التي كانوا يعيشون فيها قبل نزوحهم والدليل الخامس على الارتباط بالمنطقة هي ارسال الاولاد الى المدارس مما لا يهتم به ذوو « العقلية القبلية » او اصحاب « عقلية المخيم » ان نسبة غير ضئيلة من ارباب عائلات النازحين اميون ، غير انهم كانوا يرسلون ابناءهم الى المدارس .

ومن اجل اعطاء صورة اوضح من نوع الناس الذين نزحوا ، يجدر بنا ان ننظر الى نوع الوظائف التي كانوا يشغلونها . ان ٣٨ بالمئة من ارباب عائلات النازحين لاول مرة كانوا مزارعين ، و ١٠ بالمئة كانوا يقومون باعمال يدوية ، و ١٨ بالمئة كانوا شبه مهرة في حرفة من الحرف ، و ٥ بالمئة كانوا مهرة ، و ٣ بالمئة كانوا يقومون باعمال مكتبية ، و ٣ بالمئة كانوا يعملون في التجارة والمبيعات ، و ١ بالمئة كانوا يقومون باعمال ادارية ، و ٥ بالمئة كانوا عاطلين عن العمل والمعلومات غير متوفرة حول ٦ بالمئة .

اما بالنسبة للنازحين السابقين فان ٢٤ بالمئة من ارباب العائلات كانوا مزارعين ، و ٢٢ بالمئة كانوا يقومون باعمال يدوية ، و ١٩ بالمئة كانوا شبه مهرة ، و ٣ بالمئة كانوا مهرة ، و ٣ بالمئة يقومون باعمال مكتبية ، و ٢٢ بالمئة كانوا يعملون في التجارة والمبيعات ، و ٥ بالمئة كانوا عاطلين عن العمل ، والمعلومات غير متوفرة حول ٢ بالمئة ، ثم ان احدا منهم لم يكن يقوم باعمال ادارية .

باختصار ، ان الدلائل المذكورة اعلاه تؤكد ان النازحين وخاصة الجدد منهم ، ليسوا طبقة سفلى ، او متوسطة ، او عالية ، انهم على الاغلب فلاحون كانوا يعملون في ارضهم ويملكون منازلهم ويعيشون بين اقربائهم ويرسلون اولادهم الى المدارس ، بذلك يمكن القول ان النازحين خسروا اشياء كثيرة عزيزة على قلوبهم ، بنزوحهم . لقد كانوا مرتبطين بالمجتمعات التي نزحوا منها بل اقتلعوا منها . وهم الآن منفصلون عن كل ما يمكن ان يتمسك به الانسان ، ان افراد العائلة نفسها اصبحوا مشتتين بين الضفة الغربية والضفة الشرقية والبلدان العربية الاخرى . انهم منفصلون عن اصدقائهم ومصادر عيشهم وممتلكاتهم ومنازلهم ، انهم مقتلعون من جذورهم .

اسباب النزوح

تدل المعلومات التي حصلنا عليها ان ١٢ عائلة من اصل المئة عائلة العينة الممثلة لمخيم زيزياء نزحت لان قراها هدمت بكاملها مثل عمواس وبيت نوبا ويالو ، او هدمت بعض منازلها مثل طوباس وخربثا وبيت عليا والجفتلك والنبي صموئيل وبيرنبالا وبيت عنان ، هذا عدا الذين هدمت منازلهم او طردوا من بيوتهم كما جرى في القدس وبيت لحم وطولكرم وغيرها .

كان ابناء القرى التي هدمت التجاوا الى البساتين والمغاور عند اشتداد القصف على ان يعودوا الى منازلهم عندما ينتهي الخطر ، ولكنهم عندما عادوا وجدوا الجيش الاسرائيلي قد احتل قراهم وبدأ يهدمها .

لقد سالنا جميع العائلات التي قابلناها في مخيم زيزياء عما اذا كانوا قد شاهدوا الاسرائيليين وماذا فعل هؤلاء . ولقد ذكر افراد ٧٧ عائلة انهم شاهدوا الاسرائيليين ، وقد حدثت اعتداءات على البعض ورحل البعض الآخر الى بيوتهم ، وقد حاولنا التاكد من هذه الحوادث بالتواريخ . وعرفنا ان ٢٠ عائلة كانت نوع المواجهة فيها سلبية للغاية : قتل ، تهديم منازل ، سرقة ، ترحيل بالقوة ، الخ .. وان ١٦ عائلة سلبية : التفتيش عن اسلحة ، تحقير الافراد والعائلات ، و ٨ عائلات حيادية : مر الاسرائيليون في القرية ولم يفعلوا شيئا ، وعائلة واحدة ايجابية : كانوا « لطفاء » واعطونا مساعدات المجموع « ٤٥ » عائلة وهناك معلومات غير متوفرة عن عائلتين .

ومن جهة ثانية لعب الخوف دورا كبيرا في عملية النزوح . كان لهذا الخوف مصادر متعددة كثيرا ما جاءت مجتمعة : منها الخوف من الطائرات ، الخوف من انتهاك الاعراض ، الخوف من القبض على الشباب ، الخوف من مذبحة شبيهة بمذبحة دير ياسين .. ثم كان للطائرات الدور الاهم ليس في الانتصار على العرب فحسب ، بل في التخلص من عدد كبير من سكان الضفة الغربية . لقد ذكر لنا عدد كبير ممن قابلناهم ان ازيز الطائرات ما زال يملأ رؤوسهم . كانت اسراب الطائرات تحلق باستمرار على علو منخفض جدا في مناطق عدة مثل اريحا .

كما ان الاسرائيليين قد استعملوا القنابل حتى بعد ان تاكد لهم النصر لقد استعمل ضد اشخاص عزل كانوا قد عبروا نهر الاردن للبحث عن ملجا . واستخدم الاسرائيليون اخط انواع الحرب النفسية ، مثلا ، في توزيع مناشير يقولون فيها « سلم تسلم » و « الجيوش العربية مجتمعة » انما الاهم هو ما ذكرته بعض العائلات من وسائل مختلفة استعملت لتحقير الرجال . ومن هذه الوسائل ان يجبر الرجل على السير حافيا وبدون غطاء للراس في الساحات العامة . في بعض الاماكن نزعت « عقالات » الرجال من رؤوسهم واجبروا على ابقاء « الكوفيات » الامر الذي يعني انهم « ليسوا رجالا بل نساء » . وقد اتخذ الغزاة الاسرائيليون منذ بدء الاحتلال عادة الدخول الى المنازل حتى في اوقات متاخرة من الليل بحجة البحث عن السلاح ، وباطلاق النار ارهابا . كان التفتيش ينتهي احيانا بالقبض على الشباب واحتجازهم اياما دون ان يعرف احد اين هم ، وكان يجري احيانا اطلاق النار بعد هذا التوقيف فيظن الاهل ان ابناءهم قد قتلوا فيتركون الى الضفة الشرقية وبعد ايام يطلق سراح بعض هؤلاء الشباب ، وعندما يعودون الى منازلهم لا يجدون اهلهم فيتركونها هم بدورهم للبحث عنهم في الضفة الشرقية ، وبذلك يتخلص الاسرائيليون من هذه العائلات ، وتصبح هذه بدورها لاجئة مقتلعة من جذورها .

ان ٢١ عائلة ذكرت ان الاسرائيليين استعملوا الحرب النفسية وان هذه الوسائل كانت بين العوامل الرئيسية التي ادت الى نزوحهم ، كما كان هناك ايضا الضغط الاقتصادي الصارم ، وهناك اسباب غير مباشرة ، اولا : ان عنصر المفاجاة يساعدنا على فهم سلوك النازحين اثناء الحرب . لقد فاجأ النازحون بالسرعة التي نشبت بها الحرب وبكثرة الطائرات المهاجمة ...

ياسين رفاعية

□ مأساة تتكرر باستمرار ... □

إملي نصرالله: من يطلب من المسؤولين "تخمين" الفكر.. يستحق أبخس ثمن!



□□ في عدد ٤ تموز الماضي ، فتح « الملحق » ملف « الفضيحة المنسية » في وزارة التربية ، والتي تتلخص في ان مخصصات الدولة « لمكافأة » الادب والادباء في لبنان لا تتعدى الـ ٥ آلاف ليرة لبنانية ، كما طرح مشكلة الاديب اللبناني بوجه عام ، والازمات التي يعانيها مع دور النشر ، ومع النقاد ، ومع الصحف ، ومع الدولة ، ومع نفسه .

في الحلقة الاولى ، اعتبر سعيد عقل « الفضيحة المنسية » نتيجة طبيعية لا يستغربها لكون الدولة بنت المادة لا بنت الفكر ، بل هي متغيبة عن كل ما هو ثقافة ، او ان الثقافة غير واردة في ذهنها على الاطلاق . وعن وزارة الانباء قال انها عيشت متعيشين ، فجعلت الحديث الاذاعي تنفيعة لمتعيشين اكثر منه استفادة من نابغين . وخلص الى التركيز على « العصر الذهبي » الذي يعيشه لبنان الابداع اليوم قائلا : « لا . لبنان القلم ليس ذنبا كلبنان السياسة » .

وفي الحلقة الثانية ، قال الدكتور احمد مكي : « ان تشجيع الادب والادباء لا يمكن ان يكون على عاتق وزارة التربية ، لان وزارة التربية في الوقت الحاضر ، والى ان يكون للبنان سياسة تعليمية على مستوى الامة ، (يعني : لا على مستوى الحكومة ولا على مستوى الدولة) تعنى بمحو الامية فحسب . اما مهمة التشجيع الادبي وخدمة الابداع اللبناني فامران يتعلقان اولا بالسياسة العامة وبوزارة تكون غير وزارة تربية » . وصور الدكتور مكي المؤلف اللبناني « مزارعا ملتجا يتقاضى ابخس الاثمان على منتوجاته لينعم بربحها وعائداتها السماسرة والمحتكرون ، فالمؤلف هو المنتج المجهول لتغذية صناديق دور النشر » .

وفي الحلقة الثالثة ، شدد جواد بولس على « ان اهمال الدولة اللبنانية منذ الاستقلال ، للنشاطات الفكرية والثقافية خطأ فادح ينم عن جهل او قصر نظر ، لما لهذه النشاطات من تأثير على حاضر ومستقبل الامة اللبنانية ، على الصعيد الداخلي والخارجي وفي الميادين الاقتصادية والاجتماعية وغيرها » ، كما اشار الى ان قوة لبنان على صعيد السياسة الخارجية ، خصوصا في الظروف الحرجة التي يجتازها لبنان واخوانه العرب ، هي في دوره الثقافي اكثر مما هي في دوره العسكري او في انتاجه الزراعي او الصناعي .

وفي الحلقة الرابعة ، دعا جورج غانم وزارة التربية ، كشاعر لا كمسؤول فيها ، الى انشاء « مجلة ثقافية كبرى تعنى بشؤون الادب ، تحتضن الادب ، وهو حر دائما ، والى انشاء مجلة علمية كبرى تعنى بقضية العلم ، والى تقديم مكافآت مادية عالية للمسهمين في تحرير هاتين المجلتين الكبريين » . كما اشار جورج غانم ، الى انه بامكان الوزارة ايضا ، ان تختار كل عام ، ما لا يقل عن عشرة مؤلفات ادبية ، فلسفية ، او علمية ، تنشرها وتوزعها بوسائلها الخاصة ، هذه الوسائل التي يقتضي ان تكون موسعة وشاملة خدمة للكلمة وللابداع . وعن وزارة الاعلام قال انها احدى دعاوات الاديب في لبنان ، وبامكانها ان تصبح واجهة حضارية .

وفي الحلقة الخامسة الاحد الماضي ، اكد الدكتور جبور عبد النور ، ان هناك بالقياس الى « الفضيحة المنسية » ، مئات من « الكوارث الصامتة » تعيشها الجمهورية منذ انطلاق عهد الاستقلال عام ١٩٤٣ ، وهو الذي قيض له — خلال سنوات عدة — ان يكون عضوا في اللجنة المكلفة بتوزيع « المبلغ الزهيد » ، وان يتبين حيرة اعضائها امام ضآلة المبلغ ووفرة المتقدمين لنيل المساعدة . ونوه الدكتور عبد النور بان الدولة ما تزال تجهل جهلا مطبقا دورها في تأمين الثقافة للشعب على مختلف مستوياته الفكرية .

هنا ، في الحلقة السادسة ، يرتفع صوت الاديبة السيدة املي نصرالله باسم اديباتنا الاصيلات ، فتعلن ان حاملي الاقلام في لبنان ، من زمان ، يشعرون بالهوة العميقة التي تفصلهم من الدولة ، التي كانت مساعداتها ، حتى الان ، كقطرات ماء ترشح من سماء بلا غيم في منتصف ليل صحراوي . وهي تدعو الدولة ، حين تنوي الاسهام في الثقافة ، ان تنهج اسلوبا غير اسلوبها الحاضر ، يكون بوسع وعمق وبعد طموح المثقفين .

وفي ما يلي اجوبة الاديبة املي نصرالله :

أفلاس في جميع مرافق الحكم

● من زمان ، وحاملو الاقلام في لبنان ، يشعرون بالهوة العميقة ، التي تفصلهم من الدولة .

ذات يوم ، دعيت مع بعض الادباء والفنانين الى زيارة وزير التربية ، وكان يومها شابا مثقفا ، وكنا نتعلق ببعض الامال الوردية ، ونحلم بان يتفهم قضيتنا ، وخلاصتها دعوة الدولة الى تحطيم الحاجز القائم بينها وبين المثقفين في لبنان . وردم تلك الهوة الفاصلة ، لاقامة جسر من الحوار الحسي .

كان الوزير ، كما سبق وشرحت ، رجلا ذكيا متعلما ، فاهما ، مطلعا على ما يدور في وزارته ، وما يختلج في نفوسنا . استقبلنا بكثير من الترحيب واللطف ، واللباقة الدبلوماسية ، واستمع الينا ، بين رنين الهواتف على مكتبه الفخم ... واحيانا كان يسبقنا الى شرح بعض النقاط للتأكيد على سعة اطلاعه .

واستبشرنا خيرا .. اقول ان احلامنا رفرفت بضع لحظات الى ان ختم بقوله :

— لا تعلقوا على الدولة كثيرا من آمالكم ... انها عاجزة ، ماليا ، عن تحمل المسؤوليات الضرورية ضرورة الخبز والماء ، خاصة وزارة التربية ، التي تواجه مشاكل بدائية كتأمين التعليم لجميع اللبنانيين ، وانشاء دور حضانة ، تتسع للاطفال المشردين في الشوارع ، وتجهيز ابنية صالحة لمعاهدها في المدن والارياف و.... الخ قضية مهمة طرحها امام اعيننا ، وجعلنا نخجل من انانيتنا ، ونظرتنا « المترفة » الى الاوضاع ، وعدم شعورنا بالمسؤولية ، وتحسسنا مع سائر المواطنين وختم بالتالي :

— انتم بمطالبكم ، تسبقون الدولة بمائة سنة على اقل تقدير .. واذا اردتم نصيحتي المخلصة ، ما لكم وللدولة ومساعدتها ، دعوا الفكر حرا ، والاديب لا ينتج تحت لواء الانضواء او الولاء لاية جهة .

ونهضنا بتثاقل ، فشكرنا معاليه على نصائحه وتفرقنا كل في اتجاه ، ولم نعد الى طرح الموضوع حتى امام انفسنا .

بعد هذا تقول لي : هناك فضيحة منسية ! لا يا سيدي . هناك افلاس . هناك حالات متجمدة ، لا في وزارة التربية وحدها ، بل في جميع مرافق الحكم .

حتى الان ، كانت الدولة ناجحة بعلامة مائة على مائة في تهجير الفكر . و« تطفيش » العلم والعلماء ، وتحويل لبنان الى بلد خدمات وسماسرة وتجار .

ما هي قضيتك هذه الى جانب ما يواجهه شباب لبنان الذين يهاجرون في طلب العلم ، ثم يعودون الينا حاملين مشاعله فلا يجدون لهم موطىء قدم ، اللهم الا اذا ارتضوا ان يقبلوا الايادي ، ويوسطوا المتنفذين ، ويرتضوا بقسمتهم على حساب الكرامة العلمية ، وعلى حساب الطموح .. والا عادوا من حيث اتوا

وامامي ، تتراقص وجوه عشرات من شباب عرفتهم ، نبغوا في شتى ميادين العلم ، التي من شأنها ان تقفز بلبنان الى ارقى المستويات الحضارية ... هؤلاء اختاروا الغربة على الوطن ، ذلك لان الدول الغربية احتضنتهم ، بل صادرتهم ، لانها تقدر قيمتهم ، وتعلم انهم ثروة الحاضر والمستقبل ، وان ادمغتهم هي كنزها الحقيقي الذي تضارب به في سوق البورصة الدولية .

هذا ليس جوابا مباشرا على سؤال طرحته ، لكني اقول لك بصراحة : من يطلب من المسؤولين « تخمين » الفكر يستحق ابخس من هذا الثمن .

اما الاديب ، فلا يجوز ان ينمو في ظلال الحكومات والمسؤولين . الاديب هو الشعلة السباقة ، هو المسافة وفق خطوط الـ والاحلام الكشافة . قلمه سيف الحق المسلط فوق رؤوس الظالمين والطغاة . الاديب هو فاتح الطرق ، المبشر بقيام عالم افضل ، حتى اذا وجد هذا العالم ، وتحققت احلامه ، لا يرتضي الوقوف في صف المصفقين الموافقين ، بل يمضي في تجاوز ذاته ، باحثا ابدا عن الافضل ، والافضل والافضل ... في سبيل الوصول الى مرتبة لا تحدها حدود ، ومداها اللانهاية .

هكذا ارى الاديب ورسالته . ومتى توقف عن ادائها ، ومتى ارتضى ان يساوم عليها ، قرعت اجراس نهايته . لذلك ، لا احب التوقف عند هذا الموضوع لان احلامي ابعد منه .. بل اطالب حاملي القلم في وطني بان يمضوا في رسالتهم ، ان يكتبوا ليضيئوا ... ليوقظوا النفوس النائمة ، ليزيلوا الخدر ، ليفتحوا الاعين ، ايرفعوا صوت الحق ، فوق اصوات النشاز . ليكونوا كما تريدهم رسالتهم : صوت الشعب الذي هو بعض صوت الله على الارض .

الكاتب مستغل.. وهو أشبه بالقط الذي يلحس المبرد.. يلعق دمه.. وهو لا يدري!

النشر .. ازمتي الوحيدة

● حتى الان ، كان النشر هو الازمة الوحيدة التي تضايقني .

— نعم نشرت بواسطة دور النشر ، كما جربت النشر على حسابي الخاص ، ولم تكن النتيجة المادية مفرحة في كلا الحالين ، برغم نفاد الكتب .

وقد سبقني الشاعر جورج غانم ، في حلقة سابقة ، الى التعبير عن وضع الكتاب حيال دور النشر ولا يسعني الا ان انضم الى رايه الذي كان في غاية الجرأة والصراحة ، لان معظم الكتاب والشعراء يصورون الحالة كما يحلمون بها ان تكون ، لا كما هي في واقعها .

واني لا الوم الناشر لان مصلحته في الدرجة الاولى ، الكسب المادي . ولكن ان تتوقف رسالة نشر الكتاب عند هذا الحد ، فهنا يكمن الخطر ، اذ ان الكتب الاكثر رواجا ليست بالضرورة هي الاجود . وغالبا ما يكون العكس هو الاصح ، اي كلما تدنت قيمة الكتاب ادبيا ، وفكريا ، وانصرف مؤلفه الى دغدغة الغرائز الدنيا لدى القراء ، عن طريق الاثارة التافهة ، كلما ازداد الاقبال عليه ، خاصة اذا لم يكن هناك توعية مخلصة عن طريق النقد البناء .

مجلس تأديبي للناشرين

هذا لا يمنع ان تكون عندنا دور نشر محترمة ، كما ان هناك ناشرين يستحقون الاحالة على مجلس تاديبي ، بسبب اساءتهم الى الذوق العام ، وشدهم القراء المراهقين (نفسيا لا بضرورة السن) الى ادنى درجات الانحدار الفكري والانساني ، وذلك عن طريق تعميم انتاجهم السخيف ، وذر غباره في عيون السذج .

وتسالني هل الكاتب مستغل ؟ اجل ؟ انه اشبه بالقط الذي يلحس المبرد ، يلعق دمه ، وهو لا يدري .... وهو نشوان في سكرته الروحية ، وهو مغتبط في ظل الغمامة التي تخيم فوق راسه ، وتقنعه بان رسالته ارفع من المادة الحقيرة ، وبانها خالدة خلود الروح .. والروح ، لكي تحيا ، لا غنى لها عن الغذاء المادي .

وسوف يبقى هذا الوضع ما دامت هناك فوضى ، واستغلال ، وسوء تقييم ، وتكالب على الكسب المالي .

لا رادع للاستغلال سوى الضمير الحي

— وبعد ، اين هي العدالة ؟ اي مقياس تستخدم لتقييم الوضع في لعبة القط والفار ؟

لا ، ليس لدي اي تنظيم لدور النشر ، فهي قائمة في بلد الاقتصاد الحر ، وبالتالي ، اصحاب العمل احرار في كل ما يقومون به ، ولا حد لطمعهم ولا رادع لاستغلالهم سوى ضمائرهم الحية .

الاسئلة

● في وزارة التربية « فضيحة منسيه » خلاصتها ان اسهام الدولة في « خدمة » الابداع اللبناني لا تتعدى الـ ٥ آلاف ليرة لبنانية ، « مهياة بكاملها للدفع » ، ولكن ليس من « يقال عقله » ويقبض .

هل يليق بالمسؤولين « تخمين » الفكر اللبناني بمثل هذا الثمن ؟ ماذا تقول بصفتك احد الذين يشكلون لبنان الفكر والثقافة ؟

● ما هي الازمات التي تعانيها كمؤلف ؟

— هل تنشر على حسابك ؟ بواسطة دور النشر ؟ كيف تنظر الى دور النشر في لبنان ؟ هل تستغل الكاتب ؟ هل تسيء الى نشاطه ؟ هل تفيده ؟

— اهي عادلة في توزيع الارباح بينها وبينه ؟

الديك مشروع اخر لتنظيم دور النشر لتصبح اجدى وانفع ؟ .

— هل تربح من مؤلفاتك ؟

— اعدت طبع بعضها ؟

— هل تستمر في التاليف ام انك يئست من الوضع ؟

— كم نسخة تطبع ؟

— كم نسخة توزع ؟

هل يتناولك النقاد بالنقد ؟

— في اي بلد عربي توزع او تقرا اكثر ؟ لماذا ؟

— اترى ان انتسابك الى عقيدة معينة او طائفة معينة او بلد معين يسيء الى نشر انتاجك ؟

● الى اي حد ترى ان الدولة تساعد في نمو الثقافة بوجه عام ؟

— هل تعتقد ان بامكان وزارة التربية ان تقوم باعباء الثقافة في لبنان ، ام انك تطالب بوزارة ثقافة تعنى بشؤون الاعمال الابداعية الفكرية والادبية والفنية في لبنان ؟

— هل ترى ان وزارة الانباء تساعد الاديب معنويا وماديا ؟

— هل تعتبر ان الحديث الاذاعي هو مساعدة للاديب او العالم ؟

● هل تخدم الصحف اللبنانية الادبية الادباء او تعزز من مكانتهم ؟

— هل تقر بوجود مجلات وجرائد ادبية فكرية بالفعل ؟ وما هي اقتراحاتك في هذا الموضوع ، وهل بالامكان اصدار مجلة ادبية اسبوعية شعبية ؟

— هل هنالك تجمعات ادبية في لبنان ؟ مجالس ، اتحادات ، نواد ؟ ماذا تقترح بشأنها ؟

— هل ترى ان الاديب يجب ان ينتسب الى جمعية ادبية ام يبقى حرا ويسعى في آن معا لتكوين حلقات نقاشية حوارية يشرح الادباء خلالها قضاياهم ليتوصلوا الى نتائج افضل ؟

● كيف تنظر الى حاضر لبنان الابداعي فكرا وشعرا وفلسفة وفنا بالنسبة الى العالم العربي والى سائر اقطار العالم ؟

ربح ضئيل

— اربح من مؤلفاتي ، ولكن نسبة الربح ضئيلة .

الخبز للخباز

— اعادت « دار المكشوف » طبع روايتي الاولى « طيور ايلول » اما « شجرة الدفلى » التي نشرتها على حسابي الخاص فقد نفدت الطبعة الاولى ، تقريبا ، ولست مستعدة لاعادة التجربة ، لاني افضل اعطاء الخبز للخباز ...

رواية جديدة ومجموعة قصص

— استمر في التاليف ، نعم .. وبرغم كل شيء .

لدي رواية اكاد افرغ من وضعها ، ومجموعة قصص قصيرة ، ولا ادري متى انشرهما ، لان التاليف ، موضوع منفصل تماما عن النشر .

حمى الكتابة

لم اياس لان الكتابة حمى تلازمني ، تجري في عروقي ، واشعر بتعاسة الفراغ اذا فارقتني .

— كل مرة ، كنت اطبع ثلاثة الاف نسخة ،

— لايعاد طبع كتاب ما لم يتم توزيعه

— نعم تناولني النقاد ، في لبنان وبعض البلاد العربية ، بكثير من النقد والاطراء .

اكثر ما توزع كتبي في لبنان ، لا لانها غير مطلوبة في الخارج ، بل لسوء حظها من التوزيع .

قراء كثيرون

مرة ارسلت بضع مئات من « شجرة الدفلى » عن طريق احد الموزعين ، الى الدول العربية ، على سبيل التجربة ... فنفدت كلها . واعلم من طريق الرسائل والاصدقاء ان لي عددا من القراء في العراق بصورة خاصة ، ثم في سوريا ، ومصر والسودان والكويت وامارات الخليج العربي .

الانسان منطلقي

— انتسابي الى عقيدة او طائفة او بلد معين ، لم يؤثر في نشر انتاجي ، لانه لم يكن يوما اسوار سجن يقيدني . حين افكر ، او اكتب او اعيش يكون الانسان هو منطلقي ، وخيره هو هدفي .. لا تباعد بينه وبيني حدود يخلقها احيانا لسجن ذاته ، والحد من انطلاقتها في ابعاد السمو والارتقاء .

— الدولة ، مساعدتها ، حتى الان ، كانت كقطرات ماء ، ترشح من سماء بلا غيم في منتصف ليل صحراوي .. ومهما كانت تلك القطرات خيرة ، صافية ، فهي لا تنقع غلة الصحراء العطشى ولا تحول دون قيظ الظهيرة .

شبكة تبادل ثقافي

حين تنوي الدولة الاسهام في الثقافة ، جديا ، عليها ان تنتهج اسلوبا غير اسلوبها الحاضر ، ويكون بوسع وعمق وبعد طموح المثقفين .

واجبها التخطيط الجدي الابعد مدى من الظروف الانية ، وخلق مناخ ، وتمهيد سبل انتشار الفنون والاداب من طريق العلاقات الطيبة مع الدول العربية اولا ، ثم من طريق اقامة شبكة تبادل ثقافي مع شتى دول العالم .

وزارة تتفرغ لرعاية الثقافة

— لا يجوز ان نحمل وزارة التربية حملها وحمل غيرها . طبيعة مهمتها التنشئة والتربية لذا ارى من الضروري انشاء وزارة متخصصة بالشؤون الثقافية ، تتفرغ لا لرعايتها وحسب ، بل لدفعها وتحويلها الى ثروة تدر على لبنان خيرات الابداع والجمال ، وتسهم في زيادة دخله الاقتصادي .

— لماذا اخترت كلمة « تساعد » ؟ التزيد الوضع تحقيرا ؟

الحديث الاذاعي مساعدة تافهة

الاذاعة درجت على التعامل مع بعض الادباء لقاء ثمن ضئيل ارتضى به البعض ، ورفضه كثيرون ، ممن تيسرت لهم طرق اجدى لكسب معاشهم .

وضآلة الدفع كانت الحائل دون الاستئثار باقلام كبيرة مبدعة ، يمكن ان تمد الاذاعة بدم جديد . حتى الذين يتعاونون معها لا يقدمون افضل ما عندهم ، لانه « على قدر اهل العزم تاتي العزائم .. . »

— الحديث الاذاعي ، كان حتى الان ، مساعدة تافهة للاديب ، ولم يصبح عطاء من شانه ان يفيد العالم .

فضل صحافة الملاحق

— الصحف اللبنانية الادبية ؟ ...

لا علم لي بوجود مثل هذه الصحف . اجل هناك « ملاحق » اسبوعية اهمها ملحقا « الانوار » و« النهار » وقد كان لهما فضل كبير في تعريف بعض الاقلام اللبنانية ، وتعزيز مكانة اصحابها ، وفتح المجال امام المناقشات واثارة القضايا الفكرية .

مجلة تخاطب كل الانتماءات الفكرية

وفي لبنان مجلات ادبية ذات مستوى ممتاز ، الا انها محدودة الانتشار ، وبالتالي ، فان نسبة قرائها ضئيلة ، بسبب اصرارها على مخاطبة نخبة او فئة بالذات ، وهذا يفسح في المجال للتفكير في امكانية نشوء مجلة تستقطب الاهتمام الادبي لدى جميع الفرقاء ، وتخاطب المفكر مهما كان انتماؤه ، وتطرح القضايا الانسانية ، التي تمس جذور الوجود البشري ، وتشد القارىء في رحلة تفتيش الافئدة من نوافذ المستقبل ، والولوج به الى العالم الارقى .

ابرشيات ومعسكرات ادبية

تجمعات : وما اكثرها !... في لبنان احزاب ادبية . ابرشيات ادبية ، ومعسكرات ادبية . كل اديب في لبنان يشكل مجلسا او اتحادا او جمهورية .. وليس لدي اي اقتراح بهذا الشان .

— لا افرض على الاديب واجبا . الالتزام والواجب ، والتحرر ايحاءات تتعلق به ، شخصيته ، ونوعية تربيته .

الكاتب يحتاج الى الهدوء

هناك ادباء تضجرهم المجالس الادبية ، وتثير اعصابهم وجوه زملائهم ، ويفضلون عليها جلسة مع كاس عرق ، او العزلة في راس الجبل . كما ان بعضهم ، يلتقط وحيه من عيون رفاقه ، ويزيت قلمه من مجرى احاديثهم . المهم ، ان الكاتب خلال انصرافه الى الكتابة ، يحتاج الى هدوء الجو ، والعزلة واختمار افكاره في اعماق ذاته المبدعة .

مختبر للموهوبين

— حاضر لبنان ، خير من ماضيه . وهذا يبعث الامل في النفوس .

اجواء لبنان ، حاليا ، اشبه بمختبر يجرب فيه اصحاب المواهب ، من كتاب وفنانين شتى وجوه الابداع .

في الشعر ، ما يزال لبنان يمسك الشعلة بكل اصابعه ، وينفسح فيها روح الجدة ، والروعة والابداع . في النثر عندنا اقلام ذات مستوى عالمي .

وفي الفن ؟ .. اننا صاعدون .

□ ح — م □

في قلعة الحصن..

حيث اندحر رعمسيس الثاني امام الحثيين



مشهد عام لقلعة الحصن ، وتبدو فيه اسوار القلعة وابراجها

صفحة جديدة من صفحات التاريخ القديم نفتحها اليوم لنطل منها على عالم الآثار الحافل بالغرائب والعجائب ، المليء بالاسرار والخفايا والقصص التي تروي سير اناس عاشوا على هذه الارض ، وحضارات وقمم شيدوها لتبقى ذكرى لهم وشاهدا ودليلا على ما صنعه الانسان القديم وما اقامه من مدن وقلاع وحصون لا تزال آثارها تتحدث عن عظمة ذلك الانسان وجبروته ومقاومته للغزاة الطامعين في ارضه وثرواته .

من هذه الصفحة سنطل على اثر من اروع آثار بلادنا حيث قلعة الحصن التي هي اسم على مسمى كما يقولون . قلعة نستطيع ان نطلق عليها عروس القلاع لان كل صفاتها تبدو وكأنها من العرائس الغيد الحسان ، وقد لبست احلى الثياب وتحلت بالعقود الثمينة فازداد جمالها جمالا لتزف الى بقعة لا اطيب من مناخها ولا احلى من طبيعتها .

وقبل ان نتوغل في الحديث عن هذه القلعة الحصن ، قبل ان نتصفح تاريخها واحداثها لا بد من ان نذكر بان القلعة شيدت على قاعدة كبيرة من الصخر البركاني والقيم بنازها على هضبة عالية ، منها يستطيع الانسان ان يطل على الاراضي والوديان والسهول والهضاب المحيطة بها ، وهي تبعد عن مدينة حمص حوالي ٦٥ كيلومترا والطريق اليها معبد وجميل فضلا عن كونه يحتل بقعة من اجمل بقاع قطرنا ، بقعة غنية في طبيعتها واشجارها وبساتينها الوارفة الظلال الكثيرة الخضرة والعطاء .

وادي النصارى

لقد نظمت جمعية العاديات رحلة جديدة لزيارة مناطق الآثار تضمنت زيارة للقلعة الحصن ودير مار جرجس التاريخي بقيادة الدكتور مصطفى العطار وباشراف مستشار الجمعية الفني العالم بالآثار الاستاذ صبحي الصواف واشترك في الرحلة عدد كبير من الاطباء واساتذة الجامعة وطلابها وطالباتها بالاضافة الى مجموعة من عشاق الآثار والباحثين والراغبين في المعرفة والاطلاع على ما تحتويه بلادهم من كنوز ونفائس .

ولكي لا نطيل الرحلة مع القارىء سنجتاز بسرعة المسافة التي تفصل حلب عن منطقة تسمى العريضة وهي نقطة الحدود السورية — اللبنانية وتبعد حوالى ٢٠ كيلومترا عن قلعة الحصن وهذه المسافة يجتازها الانسان دون ان يستطيع ان يمنع نفسه من التأمل في طبيعتها الخلابة وجمالها الفاتن ، فالاشجار تكسو جبالها ووديانها والخير ينبع من سهولها وهضابها وقصص الاقدمين تزخر في بقعة من بقاعها .

وهذه البقعة عرفت منذ القديم باسم وادي النصارى وهي تضم حوالى ٨٠ قرية يتآخى فيها الجميع وتتجلى المحبة بينهم باروع معانيها وفيها اكبر نسبة من المتعلمين في القطر ، اذ يندر ان تجد فيها اميا او انسانا لا يتقن اكثر من لغة . ولقد سمعت في هذه البقعة اكثر من قصة وحكاية جديرة بالنشر اكثرها طرافة قصة الايقونة العجائبية التي سرقت من دير مار جرجس وكذلك قصة النبع الفوار .

فتش عن المرأة

وتتلخص قصة سرقة الايقونة العجائبية في ان عصابة من التاجرين بالآثار تآمرت على هذه الايقونة وحاولت سرقتها وتمكنت منها بواسطة امراة باعت ضميرها بعد ان وجدت من سهل لها السرقة ، وقد عرضت اللوحة في لندن وافتتح المزاد عليها بمبلغ ٢٥ الف جنيه استرليني ، اي اكثر من ربع مليون ليرة سورية ولكن الدير استطاع استعادتها بجهود الحكومتين السورية واللبنانية والانتربول الدولي واليونسكو والكنيسة الارثوذكسية فاعيدت الايقونة الى مكانها في الدير .

اما النبع الفوار فيتحدث سكان المنطقة من عجائبه ويقولون ان هذا النبع المبارك لا يتفجر الا في اوقات الضيق وعند جفاف الارض وانحباس الامطار منها ، ففي مثل هذه الاوقات تذهب عرائس الريف الى الغدير وسرعان ما يتدفق العطاء من النبع فيملأن جرارهن من مياهه العذبة ويعدن الى بيوتهن ويستمر النبع في التفجر ليروي كل الاراضي المحيطة به .

ومن خلال الطريق في الوادي الجميل اللامع تظهر تلك القلعة المتربعة على اعلى القمم وتبدو اسوارها وابراجها العالية المترامية من جميع اطرافها ، وعندما تطأ هذه القلعة وتسير في ممراتها وبين طوابقها ومنعرجاتها لا بد من ان تتخيل اولئك القوم الذين اقاموا هذا الحصن الحصين وبرعوا في احكامه وتحصينه وادخلوا عليه كل فنون القتال والدفاع الى جانب الابنية الواسعة المرصعة بالنقوش والقاعات الكبيرة التي كانوا يتخذون منها سكنا لهم بالاضافة الى مرابط الخيول والاسطبلات الباقية على عهدها وروثها التي ...

الابراج وأروقة القاعات

على ان اجمل ما في هذه القلعة الحصينة تلك الابراج التي تصعد اليها بواسطة السلالم الحجرية والباحات الواسعة التي تتوسط احداها حلقة مستديرة مبنية على شكل مقاعد من الاحجار الضخمة حيث كان الفرسان يتبارون في فنون القتال ، وهناك برج آخر كان مخصصا للقائد الذي كان يطل منه على السهل الكبير ويراقب سير المعارك الطاحنة التي شهدتها المنطقة بين العرب والصليبيين ، وابراج هذه القلعة تشرف على مسافات بعيدة يمكن منها رؤية البحر وموقع ميناء طرابلس وبرج صافيتا ومنطقة حمص وبحيرتها الواسعة على وادي العاصي ومصفاة البترول وغيرها .

ولا بد من ان نذكر بان المديرية العامة للآثار والمتاحف في القطر قد اولت هذه القلعة عنايتها الفائقة وسهلت سبل الزيارة اليها باعتبار ان السياح يقصدونها من كل مكان ، وقد اقامت في القلعة مقصفا كامل الاستعداد ، فيه كل ما يرغبه الزوار من طعام وشراب ، اذ ليس امتع من ان يقضي الانسان فترة من الوقت في هذا المكان السياحي الاثري الجميل .

ويعطينا الاستاذ صبحي الصواف العالم بالآثار لمحة تاريخية عن قلعة الحصن فيقول ان هذه القلعة ذكرت لاول مرة باسم « سابتونا » نسبة لنهر السابتاني المجاور لها والذي ينبع في دير مارجرجس القريب منها وذلك في القرن السادس عشر قبل الميلاد .

وسابتونا هذه كانت حصنا شهد سلسلة من المعارك والحروب اشهرها معركة رعمسيس الثاني الذي كان قادما على رأس جيش كبير ومتجها من الجنوب الى الشمال لملاقاة الجيش الحثي الذي كان يسير من الشمال الى الجنوب ، وقد استعملت في هذه المعركة الطاحنة جميع وسائل الحروب المعروفة آنذاك واستخدمت اساليب الخدعة والحيلة والجاسوسية ، اذ قبض جيش رعمسيس على اثنين من افراد الجيش الحثي ادعيا بانهما فاران من الخدمة وبعد التحقيق والاستجواب واستعمال اساليب التعذيب معهما اعترفا بان الجيش الحثي ينتظر رعمسيس وجيوشه في الشمال بالقرب من مدينة حلب وكان هذا الاعتراف خدعة لايقاع رعمسيس في قبضة الحثيين .

هزيمة ثانية لرعمسيس

والحقيقة هي ان الحثيين كانوا يعسكرون في مدينة قادش جنوبي حمص بالقرب من بحيرة قطينة ولكن رعمسيس كان قد اطمأن لاعتراف الحثيين فسار الى الشمال غير مبال باحد وصدف ان قبضت طلائع جيشه على اثنين آخرين من الحثيين ادعيا نفس الادعاء ولكن الريبة بدت عليهما فما كان من رعمسيس الا ان عمل بهما ضربا وتعذيبا حتى اجبرهما على الاعتراف بان الجيش الحثي مرابط في قادش فذعر لما سمعه وارسل وزيره حالا الى سابتونا طالبا من بقايا جيشه اللحاق به ولكن الحثيين كانوا قد انقضوا عليه لدى دخوله مدينة قادش وكسروا جيشه شر كسرة .

على ان الحثيين بدلا من ان يلحقوا بالجيش المهزوم ويقضوا عليه انشغلوا بالنهب والسلب ولهذا تمكن الجيش الذي جاء لنجدة رعمسيس من الحاق الهزيمة بهم بعد سلسلة من الكر والفر ، علما بان هناك قصة تختلف عن هذه تؤكد بان قادش بقيت بيد الحثيين الذين لحقوا بجيش رعمسيس حتى البلاد الكنعانية حيث اشعلوا الثورة وكانت شبه النهاية لاسياد الكنعانيين .

ولقد عرفت قلعة الحصن باسم آخر هو قلعة السفح وذلك في القرن الحادي عشر ميلادي وبعد هذه الفترة اسكن ملك حلب رضوان السلجوقي الاكراد فيها لحماية سهل البقيعة والممر المؤدي من طرابلس الى حمص وهو الممر الذي يفصل بين الجبال السورية في شمال المنطقة والجبال اللبنانية في الجنوب وآنذاك سميت القلعة باسم حصن الاكراد .

وفي عام ١١١٠ تمكن الغزاة الصليبيون من القلعة واخرجوا الاكراد منها وذلك بعد ان زحفوا بجيوشهم الجرارة على الساحل واستولوا على مدينة طرابلس بقيادة تانكرد صاحب امارة انطاكية في ذلك الحين . ثم اعطى تانكرد القلعة الى امير طرابلس الذي اعطاها بدوره عام ١١٤٢ الى الجنود الكهنة المسمون بالاسبارتية ، وقد انشأ هؤلاء بعض الابنية في القلعة ومكثوا فيها حتى عام ١٢٧١ عندما تمكن منهم السلطان الظاهر بيبرس الذي اصبحت القلعة في عهده من اعظم قلاع الشرق تحمي امارة طرابلس وتهدد مدينة حمص بحكم موقعها الاستراتيجي .

معركة في البقيعة

ويقول الاستاذ الصواف ان نور الدين زنكي هو اول من حاصر قلعة الحصن ورغب في فتحها عام ١١٦٣ ميلادي ولكن الجيش الاسبارتي المرابط في القلعة باغت نور الدين ليلا وانقض على جيشه في سهل البقيعة . وكاد نور الدين يقع اسيرا لولا بسالة احد جنوده الذي مكنه من الهرب اذ كان جواده مربوطا فقطع الجندي الرباط لينطلق باميره وقد قتل الجندي المجهول دفاعا عن نور الدين .

كما حاصر صلاح الدين الايوبي القلعة ولكنه لم يتمكن منها فتابع فتوحاته في المدن الساحلية وطرد الغزاة من اللاذقية وطرطوس وبانياس كما حاصر شقيقه الملك العادل القلعة ولم يتمكن منها واخيرا جاء بيبرس الذي تغلب على المغول وحلفائهم الصليبيين في عين جالوت وفتح العاصمة الثانية انطاكية بعد القدس . ومعارك هذا السلطان العربي اشهر من ان تعرف .

لقد حاصر الظاهر بيبرس قلعة الحصن في شتاء عام ١٢٧١ فاقام المنجنيقات والمعدات الحربية حولها وتمكن بعد حصار شديد دام شهرا وثمانية ايام من فتح جزء كبير من القلعة ثم ارسل كتابا الى حاكمها الاسبارتي يطلب اليه الاستسلام للمسلمين باسم امير طرابلس اذا منحوه صلحا شريفا وكان ما كان .

على ان الظاهر بيبرس لم يترك القلعة على حالها من الخراب والدمار فقد رمم اجزاءها وكل ما تهدم فيها واكمل تحصينها وجاء من بعده الملك الاشرف قلمون الذي انشأ الابنية في القلعة التي هجرت في القرن السادس عشر ليقطنها سكان القرى المجاورة الذين كانوا قد جلوا عنها .

عودة الى الدير

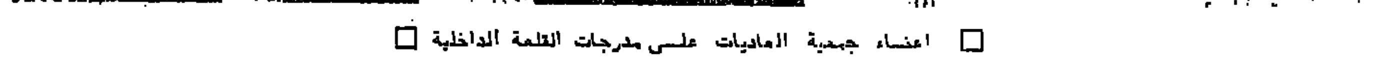
لا بد لنا وقد اصبحنا على مقربة من دير مار جرجس من زيارة هذا المعبد التاريخي . فهذا الدير يحج اليه الناس من كل حدب وصوب لتقديم النذور والتبرك بصاحبه . ويتألف هذا الدير من ثلاثة اقسام ويعود عهده الى القرن السادس عشر ، وكان يسمى حميراء نسبة للارض التي يقع فيها .

وفي قسميه الثالث والثاني واجهتان خشبيتان من اروع ما صنعته يد الانسان وفيه من القيشاني والرسوم ماتدهش العقول وكل هذه من صناعة مدينة حلب التي انقرضت منذ القرن السابع عشر .

فالقسم الثالث من الدير وهو القسم الجديد يستقبل الزوار والسياح معا ويجعلهم ينعمون بالضيافة العربية والمعلومات المطلوبة بالاضافة الى ترحيب رئيس الدير باي زائر او ضيف لهذا البيت من بيوت العبادة . اما القسم الثاني فهو معاصر لقلعة الحصن وفيه الكنيسة القديمة من العهد الروماني ، ويضم هذا القسم فيما يضم من تحف نادرة الايقونة العجائبية ، اما القسم الاول فهو يضم الكنيسة القديمة التي يعود عهدها الى القرن السادس وقد اظهرت الحفريات بعض اقسامها .

ومما يدل على ان الكنيسة عريقة في تاريخها ان من النفائس المحفوظة فيها وثيقة مخطوطة على رق الغزال مؤرخة في السنة الرابعة للهجرة وتعتبر من اقدم المخطوطات . وملخص هذه الوثيقة المخطوطة هو ان الخليفة عمر بن الخطاب الذي شهد العالم اجمع بعدالته قد اعطى لدير مار جرجس عهدا مكتوبا ينظم بصورة عامة العلاقات بين المواطنين ويوضح الامتيازات التي يتمتع بها دير مار جرجس ويصون املاكه ويعفيها من الضرائب ويوصي برهبانه ونساكه وبمعاملتهم بالحسنى والمعروف ، وهذه المخطوطة اعطيت نسخة منها لدير سيناء ونسخة ثالثة لدير شابا في فلسطين المحتلة شرقي مدينة القدس العربية .

عبد الجليل سلاج — حلب



اعضاء جمعية العاديات على مدرجات القلعة الداخلية

الايقونة التي سرقت من دير مار جرجس

ثم استعيدت بفضل الانتربول واليونسكو والكنيسة الارثوذكسية



احد سطوح القلعة المطلة على سهل البقيعة

كاتب المقال في احدى باحات القلعة

أحزان الشيء.. واللاشيء..!

قصة بقلم : صبري العسكري

□□ صعدت السلم عدوا الى الدور الثاني من العمارة ..

لم تلحظ ان العدو لم يعد يناسبها وهي في سن الخامسة والثلاثين .. فقد كانت ماخوذة بحنين جارف الى ان تدخل شقتها .. وتغلق الباب من ورائها .. ثم ترتمي على اول مقعد تلتقي ، .. كي تستريح .. ولا شيء آخر ..

متعة ان يستريح الانسان بعد مشوار طويل .. وكان مشوارها طويلا ..

ولذلك لقد ضايقها ان تجد باب الشقة موصدا من الداخل .. حاولت ان تدير المفتاح في الثقب فاستدار .. ولكن الباب ظل مغلقا ..

وادركت على الفور ان كوثر الشغالة لا بد واقفة في الشرفة تطل — كعادتها — على المارين في الطريق .. بينما تركت «الراديو» مفتوحا في الصالة .. حتى ان صوت المذيع وهو يقرا نشرة الاخبار اصم اذنيها .. ولم تكن بها اية رغبة في سماعه .. او سماع الاخبار .. اية اخبار ..

وبعصبية زائدة تركت يدها تضغط على جرس الباب فارسل رنينا حادا مزعجا .. وباليد الاخرى اخذت تدق الباب بشدة ..

— الف مرة اقول لها لا تقفلي الباب من الداخل .. تجاوزت الرابعة عشرة ولا زالت تخاف .. شيء يجنن ..!

وكاد الغضب ان يفقدها نفسها لولا ان صوت الراديو انقطع فجاة .. وفجاة ايضا انفتح الباب ووقفت وراءه كوثر وهي ذاهلة وكانها افاقت لتوها من حلم طويل .. ولم تقل لها شيئا .. فقط ازاحتها من طريقها ودخلت .. ولم ترتم على اول مقعد التقت به ..

كانت قد فقدت الرغبة في ان تستريح .. او لعلها نسيت انها كانت تشعر بالحنين الى الراحة ..

ولكنها تذكرت بمجرد ان وضعت قدميها في الصالة ان تلك الشقة التي كانت تجسرد محتوياتها بعينيها وكانها كانت تراها لاول مرة اصبحت ملكا لها بغير منازع ..

لطالما نازعها حسين في ملكيتها لها ..

عشر سنوات كاملة امام المحاكم .. هي تطلب الطلاق لانه غير كفء لها واعتدى عليها بالضرب .. وهو يرفض الطلاق .. وحتى يكيد لها ويكسر انفها — كما كان يقول — نازعها في ملكيتها للشقة ..

ووقفت وسط الصالة .. واراحت نظراتها على كل شيء ..!

مقاعد « الانتريه » المشغولة بالصدف .. والستائر المصنوعة من القطيفة الحمراء .. والسجادة العجمي الكبيرة التي لا تبلى مع الزمن .. والثلاث ترابيزات الارابيسك .. حتى « التليفزيون » كان موضوعا على قاعدة خشبية باربعة ارجل ضلع يد .. كانت في الاصل تستعمل لحمل الشاي امام الضيوف ..

انها تعرف ان هذا الاثاث لا يناسب العصر .. ولكنه مملوك لها .. ومن قبل كان مملوكا لامها .. وجدتها ..

وفكرت ..

هل هذا هو السبب في اصرارها على هدم قول المقربين به طوال عشر سنوات من المنازعات امام المحاكم ..؟

ربما ..

غير ان احساسا غامضا داخلها بان ذلك السبب لم يكن هو الوحيد .. ولعل ذلك هو ما افقدها الحماس لان تظل تستطلع المكان بعينيها ..

لقد كانت تتصور لحظة صعودها السلم عدوا انها ستجري بطول الشقة وعرضها بمجرد ان تفتح الباب ..

جال بخاطرها انها سوف تلمس كل قطعة اثاث في الشقة باصابعها .. دولاب ملابسها .. سريرها العريض الذي لم يشاركها فيه رجل من قبل .. ذلك انها طلبت الطلاق من حسين قبل ان تزف اليه .. فلم تلتق معه على فراشه ..

كل قطعة في حجرة النوم .. او الصالون .. او حجرة الطعام .. كان في بالها انها سوف تلمسها بيدها بمجرد ان تضع قدميها داخل الشقة ..

غير انها لم تعد تشعر بالحماس ذاته .. اذ انها ما ان ملات عينيها من المكان حتى قفز الى راسها انها دفعت فيه الكثير لكي يكون لها بغير منازع ..

وواجهت نفسها لحظة .. وخطر لها ان ليس المال الذي دفعته هو الذي اسال شجونها ..

انها تعمل .. وتتقاضى مرتبا كبيرا .. ولها مدخرات في البنك .. وما دفعته لا يزيد عن جزء بسيط من هذه المدخرات .. فالمال لم يكن الشيء الذي يهمها بالدرجة التي تجعلها لا تستطيع ان تفكر ان احدا لم يعد ينازعها فيما تملكه ..

لا بد ان تلك الشيء انها تذكرت انها تنازلت كي تصبح حرة في المكان الذي هي فيه الآن ..

تلك كانت القضية في جوهرها طول الوقت .. ان تتنازل عن موقفها ضد حسين فتنتهي المشكلة .. وقد كان ...

— لم يعد هناك ما يشغلنا يا كوثر .. لا محكمة .. ولا محام .. ولا حسين قال .. او لم يقل ..!

واردفت في سرها :

— صعب عليك ان تفهمي .. طول عمرك غبية ..

وبصوت عال :

— ليكن في معلومك انني ساحتاج اليك اكثر .. ساكون في وجهك طول الوقت .. راحت ايام النوم بالنهار .. والوقوف في الشرفة .. وسماع الراديو بمناسبة وبدون مناسبة ..

ولم ترد على ابتسامة كوثر .. بدت لها ابتسامة بلهاء بلا معنى .. هي ذات الابتسامة التي تعودت ان تجيب بها على اي كلام قالته لها من قبل ..

— لا تعرف سوى ان تبتسم .. هذه الغبية ..!!

وتركت حذاءها ينخلع من قدميها .. وعبرت الصالة حافية الى حجرة النوم .. وخلعت ملابسها .. وتركتها تسقط من يدها الى الارض قطعة قطعة .. لقد قررت بينها وبين نفسها الا تلبسها ابدا ..

— كوثر .. هذي « هدوم » الشغل والقي بها الى الشارع .. او اعطيها لامك .. نعم .. ومعها فستان المحامي .. وفستان الاستاذ سامي .. هذي كل «هدوم» الشغل .. لا اريد ان اراها بعد اليوم .. والاستاذ سامي هو الآخر لا اريد ان اراه .. اذا طلبني بالتليفون قولي له بانني لست موجودة ..

انها الآن فقط تتذكر تأثير محاميها الاول عليها ..

لقد كانت له نصائح لا تقاوم .. وكان يروق له احيانا ان يطلق على نصائحه اصول الصنعة ..

وكان من مقتضى اصول الصنعة عند الاستاذ عبد العليم — وهذا كان اسمه قبل ان يموت .. اما وقد مات فان احدا سواها لم يعد يذكره — ان يعد المتقاضي نفسه للمحاكمة ما دام القرار انه ذاهب اليها لا محالة .. فاذا ما كان المتقاضي سيدة فيلزم ان ترتدي فستانا معينا لتظهر به امام القاضي .. وآخر لتذهب به الى المحامي .. وثالث لتقابل به من سوف يتوسط لها في المشكلة لحلها وديا .. وهكذا ..

وفستان القاضي — والتعبير للاستاذ عبد العليم — يجب ان يكون جامعا بين الحشمة والاثارة .. ذلك لان القاضي قد يحكم للسيدة المحتشمة ولكن قلبه لا يرق لها .. كما انه لا يحكم للمراة المثيرة وان كان قلبه قد ينعطف نحوها ..

ولان الاستاذ عبد العليم يريد من القاضي ان يحكم وان يكون رقيقا منعطفا فانه ينصح دائما بان يكون الفستان محتشما ومثيرا في ذات الوقت .. وبذلك يضرب عصفورين بحجر واحد ..

ولقد كان من المتصور ان يحجم الاستاذ عبد العليم عن تحديد اوصاف فستان المحامي .. تاركا ذلك لذكاء موكلته .. ولكن الاستاذ عبد العليم بالرغم من انه كان فاضلا فانه لم يكن متزمتا .. ولذلك فقد كان من السهل عليه ان يصارحها بان فستان المحامي يجب ان يكون جميلا .. لا هو بالمحتشم .. ولا هو بالمثير .. ذلك ان المحامي مطالب باستمرار بالا يفقد اتزانه امام موكلته .. كما انه يلزم ان يكون مستريحا هادئا .. ولا شيء يدعو الى الراحة والهدوء اكثر من ان يرى الانسان شيئا جميلا .. !

وعن فستان الوسيط لم يقل الاستاذ عبد العليم شيئا .. لانه كان يرى ان قضيتها غير قابلة للحل على يد وسيط .. وانما يجب ان تقول فيها المحكمة كلمتها .. والى ان مات لم يتنازل عن رايه ..

— كوثر .. لا تنسي يوم الخميس نزور قبر الاستاذ .. من مدة طويلة لم نزره ..

وارتدت قميصا من اللينو الخفيف .. والقت بنفسها على السرير .. وودت لو انها استرخت .. لو ان كل عصب في جسمها قد استرخى وترك حبله على الغارب ..

لطالما كانت حبال اعصابها مشدودة .. لم تعرف لحظة هدوء على مدى عشر سنوات .. كان كل شيء في حياتها مثيرا متحركا .. ولقد كلفها ذلك كل وقتها .. والكثير من صحتها ومن اموالها ..

— ولكنني لم افقد ابدا الاحساس بالحياة .. كان الاستاذ عبد العليم يقول لي دائما بانها اذا كانت هذه هي الحياة .. فلا مفر من ان نحياها .. ولقد عشت حياتي .. بشكل او باخر عشت حياتي ..

واغلقت عينيها على لا شيء سوى افكارها .. وغفت قليلا .. ولكنها لم تلبث ان سمعت صوت جرس التليفون ..

— لست موجودة يا غبية .. الا تفهمين ..؟ الم اقل لك ذلك من قبل ..؟ ناوليني السماعة .. الو .. استاذ سامي .. الموضوع انتهى .. لن اكون في البيت بعد اليوم .. ولا في الشغل .. باي باي ..

والقت بسماعة التليفون من يدها ..

— كيف فكرت في لحظة من اللحظات ان ارضى بان اكون مع هذا الحيوان في فراش واحد .. كم كان وضيعا عندما جعلني اعتقد بان رضائي كان كفيلا بان يقطع خيوط الانحياز التي كانت تربطه بحسين ..

كان سامي صديقا لحسين .. بل الصديق الوحيد .. وقد خطر لها ان تجعله رسول سلام فيما بينهما فسعت اليه بالرغم من تحذير الاستاذ عبد العليم بالامتناع عن الوساطة ..

وبالرغم من ان الاستاذ عبد العليم لم يقل لها شيئا عن اوصاف فستان الوسيط .. فقد ذهبت اليه وهي ترتدي فستانا مثيرا يكشف عن مساحة مغرية من صدرها .. ويحتوي ردفيها بالكاد وكانه مرغم .. ولعل اختيارها لذلك الفستان كان بوحي احساسها كانثى ..!

ولكنها اكتشفت — مع الوقت — ان موقف سامي لا يختلف في شيء عن موقف حسين نفسه .. فقط كان حسين يصدمها باعلان مطالبه بصلف شديد .. بينما كان سامي يهون عليها الامر في كل مرة تلتقيه فيها .. ثم لا يلبث ان يقدم لها المطالب ذاتها ..

— لم يكن ينكر ان النتيجة واحدة سواء كان هو الذي يسعى لحل المشكلة او حسين .. انما كانت فلسفته التي كان يفصح عنها في علانية وبغير مواربة ان الطعام ذاته تتذوق له طعما مختلفا اذا ما قدم لك في طبق من الفضة .. يا له من مخادع ..!

وطار النوم من عينيها .. وبرق في ذهنها انه سوف يستعصي عليها ان تنام .. وشعرت بان حلقها قد جف .. وبان قبضة قاسية اعتصرت قلبها .. ورغبت في البكاء ..

لم تبك ابدا من قبل .. حتى في الوقت الذي سمعت فيه — قبل ان تزف الى حسين — بانه لم يتزوجها الا طمعا في مالها .. وبان كل كلمة حب قالها لها انما كانت تمثيلا في تمثيل .. وترديدا لكلمات حب كان يقولها لامراة اخرى يحبها ويريد ان ينفق عليها من مالها .. فانها لم تبك .. فقط قررت ان تطلق منه .. وان تشهر به امام المحاكم ..

وايضا لم تبك عندما اعتدى عليها بالضرب .. وكانت لحظتها تهم بطرده من شقتها .. او شقة الزوجية الموعودة .. بعد ان اقتحمها عليها بالقوة تحت ستار انه يحمل بيده وثيقة زواجه بها .. وصحيح انه لم يخرج الابعد ان استدعت له رجال الشرطة .. ولكن الصحيح كذلك انها لم تبك ..

الان .. وبعد ان انتهى كل شيء .. تحس برغبة ملحة في البكاء ..

— وماذا كنت انا فاعلة والاستاذ عبد العليم تركني ومات ..؟ هو وحده الذي كان ينصحني بعدم التنازل .. كان واثقا من انه سيكسب القضية مهما طال الوقت .. بينما الاستاذ محمود لم يضيع وقتا .. ما ان ذهبت اليه بالقضية حتى اخبرني بانه لا حل لها الا بالتقاء وجهات نظر الطرفين لا باختلافها .. كان الاستاذ عبد العليم محترفا يفضل ان يكون محاميا ولو خسر القضية .. بينما كان الاستاذ محمود هاويا يفضل ان يكسب القضية ولو لم يكن محاميا .. ومن المحترف الى الهاوي وجدت المشكلة حلا .. لم اتكلف كثيرا .. ليس اكثر من انني تنازلت عن قضية الطلاق واعترفت فيها بحسن سير وسلوك حسين .. ودفعت مبلغا من المال .. وعندها طلقني حسين .. واصبحت حرة .. بل وكف حسين منازعتي في ملكية الشقة .. اليس هذا هو ما كنت اريد ..؟ فلماذا لا اهدا وقد انتهيت من كل شيء ..؟!

وتحاملت على نفسها لتترك الفراش .. وذهبت الى الحمام .. والتقطت بيد مدربة زجاجة اقراص المنوم .. وفتحتها .. واخذت قرصا ..

وظلت نظراتها باقية على الزجاجة .. ولاحظت انها ممتلئة بالاقراص الى النصف .. وهمت بان تفرغها في كفها .. غير ان رجفة خاطفة سرت في جسدها فجاة فوقعت الزجاجة من يدها .. وتناثر حطامها على ارضية الحمام ..

وجاءت كوثر تجري من الداخل .. وانكفات على الارض تجمع الحطام ..

ونظرت اليها من فوق وهي لا زالت واقفة مكانها لا تبدي حراكا .. ووقعت نظراتها بغير قصد على ثدييها الصغيرين وقد بانا من فتحة « البلوزة » الواسعة المتهدلة فلم تستطع ان تكف عن اطالة النظر اليهما مليا وباستغراق .. وكانها لاول مرة ترى ثديين لم تمسهما يد بشر .. ولم يطعما طفلا بعد ..

ثم شدت قامتها امام مراة الحوض .. وبحثت بعينيها من وراء القميص اللينو الخفيف عن ثدييها هي .. ولم تكد ترى شيئا ..

اكتشفت فجاة ان ثدييها قد اصبحا ضامرين ..

ولمعت الدموع في عينيها .. واستدارت لتذهب الى حجرة النوم .. ولم تنس ان تقول لكوثر وهي في طريقها :

— بنت .. غطي لحمك .. انت كبرت كفاية ..!

«قضايا الأحوال الشخصيّة والجنسيّة»

□ عندما يصبح العمل فنا وتسدس ، ويهوى العامل مهنته ، والموظف يعشق وظيفته ، فيعطيها من روحه وعقله اكثر مما يعطيها من وقته وجلده ، حينذاك يشعر المرء بلذة نجاحه ويكون انتاجه فاخرا ومضاعفا .

تلك كانت الطريق التي سلكها كبار العباقرة والناجحين في حياتهم ، من اصغر عامل اصبح رجل اعمال والى المخترعين والمؤلفين والمجلين في كل مضمار حولوا اليه اهدافهم .

وهذه القاعدة تظهر الفارق الواضح بين فئتين من الكتاب : فئة الذين يكتبون عما يعلمون وفئة الذين يكتبون بصدق ما يعملون . وان الثانية هي الاهم والاجدى واليها ينتسب الاستاذ عبد المنعم بكار — رئيس دائرة وقوعات الاجانب في المديرية العامة للاحوال الشخصية الذي طابق بين عمله وعلمه مرافقا تطور القوانين والانظمة التي ترعى قيود الاحوال الشخصية ومساهما مساهمة فعلية وبروح المسؤولية في حفظ ما استطاع حفظه من القضايا الطارئة والاحكام التوجيهية والبدائية بهذا الشان مطلعا ، منقبا ، باحثا ، حتى حوى ما حوت في بطونها الكتب والملفات والدفاتر والمجلدات وانصهرت هذه المعلومات في عشرين سنة من الخبرة والتدقيق وجاء بنتيجتها كتابه المعروف « قضايا الاحوال الشخصية والجنسية » .

والكتاب اول ما يبدو ، دليل عملي مبسط ، سهل التناول ، يذلل فيه صاحبه اصعب المشكلات المعروضة في مجال الاحوال الشخصية — وهي وفيرة — باسلوب مقارن ، ورشيق في لغة مالوفة توحي الثقة وتعابير قانونية ومستساغة يفهمها دون اية صعوبة القارىء العادي .

لذا ، فالكتاب في اهدافه موجه الى كل مواطن : يرى فيه ذو الحاجة ما يهديه الى تسهيل معاملته واتمامها باجدى السبل واوفرها ، كما يرى فيه ذو الاختصاص موجزا علميا ويدويا معززا بالحجج والبراهين وابواب الاجتهاد في كثير من الاحكام الرئيسية وايراد لمجمل القوانين والانظمة والقرارات في هذا المجال .

خطوة خطوة

والجدير بامر هذا الكتاب ، انه ياخذ بالقارىء ، ايا كانت معلوماته في هذا المجال ، ياخذ بيده كالطفل ، خطوة خطوة في شتى مراحل المجريات المقتضاة ، وهو اذا اسهب وجاء مكررا في بعض حالات التشابه ، فلكي يبدد كل صعوبة تعترض درب المطلع ، مستفيضا في تنويرها وشرحها ، بالاستقلال عما يكون قد تقدمها ، وفي ذلك مجداة وفائدة تطبيقية لا يشعر بنتائجها الا من ينفرج عنه الهم بعد ان يحظى بغايته في اتمام معاملته ، بمجرد القاء لحظة عابرة على الموضوع المختص دون ردود الى ما تقدم من فصول الكتاب او احالات الى ما سياتي من فصوله .

ان هذا الكتاب معد اساسا للمراجعات الادارية حول قضايا النفوس والاحوال الشخصية ومن هنا تنبع فوائده الرئيسية كدليل يهتدي بواسطته الى هدف اكيد — اما فائدته التعليمية فحسبه ان يكون توجيهيا ومشوقا ويعتبر بمثابة اطروحة في هذا المجال يقتضي وضعه لزاما بين يدي كل موظف لا سيما ممن يتعاطون ذات الاختصاص من موظفي وزارتي الداخلية والخارجية ومعاوني الضابطة العدلية ورجال الامن والمخافر ومعقبي المعاملات وانه يفرض كمادة الزاوية في امتحانات الترشيح للوظائف المذكورة .

لعمري ، ماذا يبقى للموظف ان يعطي اكثر من هذا !

وقته في الدوام لتصريف امور الناس .

ووقته خارج الدوام كي يمعن في التنقيب ويعد مثل هذا الكتاب !

ان كتاب « قضايا الاحوال الشخصية والجنسية » هو تتويج لجهود طويل استوحي بالصمت والسهر والبحث الدقيق .

وهو مثال يحتذى به لتقييم العمل الوظيفي وبيان مدى تفهم الموظف والمامه بقضايا دائرته وان مسؤوليته الواعية ، تجعله في حالة تهيب واستعداد لاعطاء كل سائل الجواب الذي يلائمه ، وما احوج بعض الحالات من بعض اهل الدهاء ، يطل عليها الموظف النبيه من خلال ضميره الحي وقلبه النابع بالمعرفة فيقرر بالقضية ويحيل ، كانه القاضي والحاكم المطلق ، يشع بالثقة والنباهة ، فيما حوله ، فلا يستهين برايه غاشم بل يركن لقوله كل محتاج .

حبذا لو انصفت الظروف في هذا البلد ،

ووفت حق صاحب هذا الكتاب ،

لكان كل موظف شمر عن ساعديه للعطاء المضاعف ،

واصبح لدينا العديد من امثال عبد المنعم بكار .

المحامي جوزف كنعان

هكذا من الأصل

ناشر كتاب كيف تصبح [illegible]

الكتاب الرائج هو حلم الجماهير

□□ العنوان خطأ ! وهل يمكن ان تكون هذه هي البناية التي يقع فيها مكتب انجح ناشر في العالم ؟ انها شركات الكاتب لايل ستيوارت التي اصبحت موضع اعجاب ويأس دور النشر الاميركية في آن واحد .

كان ستيوارت في الماضي مخبرا لدى درو بيرسون الذي كان مدير ادارة مجلة «المجنون» وصديقا قديما لفيدل كاسترو رئيس وزراء كوبا .

واذا ذكر اسم ستيوارت في اي مكان قال لك احدهم : « انه عبقري حقيقي » . وقال آخر : « انه وحش تجارة الكتب ! » ويعتقد البعض بانه يجمع الميزتين معا . ولقد انشأ خلال السنوات الاربع الاخيرة دارا للنشر دمج فيها خمس دور صغيرة وضمن نجاحها بصورة مذهلة . فمن اصل ٢١ كتابا نشرتها شركته الجديدة بيع اربعة كتب بمعدلات تزيد عن ٣٥٠،٠٠٠ نسخة ، وضرب كتابان الرقم القياسي (« المرأة الشهوانية » و « الرجل الشهواني ») . اما كتاب «المرأة الشهوانية» فقد كان اسرع الكتب مبيعا في التاريخ اذ بيع منه ٦،٢٠٠،٠٠٠ نسخة في اقل من ثلاثة اشهر . ولقد حصل على دفعة مسبقة قدرها ٤٠٠،٠٠٠ دولار عن كتاب « الرجل الشهواني » .

ويتفق الجميع على القول ان لايل ستيوارت هو النجم الجديد الكبير في عالم دور النشر ، وانه اضفى بريقا سريعا ومقلقا على تلك التجارة التي كان الغبار قد تراكم فوقها .

العنوان الصحيح

العنوان الصحيح . جلس لايل ستيوارت وعلى ثغره ابتسامة عريضة ينظر الى العالم من فوق شرفة قصره المؤلف من عشرين غرفة . وقال : « ان غيري من اصحاب دور النشر يطبعون الكتب فقط ولا ينشرونها . انهم يدمرون الكتاب بتجويعهم . اما انا فاجعل المؤلفين من الاثرياء . انني اخرج وابيع كتبهم ! وهم يتهمونني بتشجيع العري لانني ابيع كتبا جنسية . لكنني اصدرت كتبا جنسية للسبب نفسه الذي اصدرت من اجله كتبا عن كوبا . ان الجنس هو موضوع جدل ، والجدل هو الذي يثيرني . واذا لم اشعر بالاثارة ، بشأن كتاب من الكتب لا استطيع بيعه . وعلى كل حال سانخلى الان عن اصدار الكتب الجنسية . فتلك المعركة قد كسبتها » .

ولقد مول ستيوارت روضة اطفال للزنوج الصغار قرب قصره في جمايكا ، وفي اليوم التالي اصطحبهم كلهم الى السيرك .

الزوجة المفقودة

وقبل سنة ونصف السنة توفيت زوجته الصبية وهي في الثالثة والعشرين من عمرها اثر اصابتها بالسرطان في جمايكا . ولقد قال صديق للعائلة انها كانت « امرأة لامعة وجذابة وشديدة النشاط . وكان زواجهما من اكبر الزيجات . » . كانت شريكة كاملة في المؤسسة ، وقد عكفت على تربية ولدين ذكيين ومحبوبين هما ساندرا لي (٢٣ سنة) وروري جون (١٥ سنة) .

ويفهم ستيوارت قائلا : « ان المال والنجاح ليسا شيئا بدونها . انظروا الي ، لم اكن سمينا على الاطلاق عندما كانت لا تزال على قيد الحياة . انني ميت في داخلي » .

ويعيش ستيوارت في نيويورك في حي قذر . ولقد قال انه ارتكبت ثماني جرائم هناك خلال الاربع عشرة سنة الاخيرة . وتحدث داخل البناية جريمة كل يوم : سرقة ، اغتصاب ، اعتداء . ونادرا ما لا يحمل ستيوارت في جيبه ٢٠٠٠ دولار ولقد ساعده الحظ فلم يتعرض حتى الآن لاي اذى بالرغم من انه يحمل دائما قلما فيه غاز مسيل للدموع واحيانا مسدسا اوتوماتيكيا من عيار ٢٢ ملمترا .

ابن الشارع

ولقد قذف لايل ستيوارت في الشارع باكرا . وانتحر والده الفرد سيمون الذي كان لطيفا وشاعريا في منزلهم ببروكلين عندما كان ليونيل (هكذا كان يدعى لايل آنذاك) في السادسة من عمره . ونزل لايل الى ميدان العمل وهو في الثانية عشرة من عمره . ولدى بلوغه التاسعة عشرة اصبح كاتبا وهدد فنانا بقتله اذا لم يدفع له ثمن قصة الفها ٢٠٠ دولار . واستدعى ضحيته البوليس فاعترف ليونيل بذنبه وهو انه حاول ابتزاز المال واطلق سراحه بكفالة .

وعام ١٩٤١ انضم الى البحرية التجارية . ثم غير اسمه الى لايل ستيوارت — وهو اسم سمع به في احد الافلام . وبعد الحرب ذهب للعمل كمراسل لمؤسسة هيرست الصحفية في كولومبوس ، بولاية اوهايو .

اول كتاب

وعام ١٩٦٥ نشر ستيوارت كتابا عن الصحة اسمه « فحص النبض » ونظم له دعاية واسعة . واحدث الكتاب دوي القنبلة وقد باع منه ٩٠،٠٠٠ نسخة . ويقول ستيوارت : « لقد علمني ذلك ان اثق بغرائزي الشخصية . فالشيء الوحيد الذي علمني اياه الناشرون الاخرون هو ما لا يجب عمله » .

ووثق بغرائزه وجدد طريقة عمل دور النشر . وقرر ان معظم الناشرين ينفقون كثيرا على المكاتب الفخمة والموظفين وقليلا على الاعلانات . اما هو فقد عكس الاية لكنه دفع لعدد قليل من الموظفين رواتب كبيرة (تتقاضى سكرتيرته ٨ دولارات عن الساعة الواحدة) . وقرر ستيوارت بعد ذلك ان معظم الناشرين ينتجون عدة كتب ولا يبذلون من اجلها الا الجهد القليل .

وهو يقول : « ما الذي يجعل الكتاب رائجا ؟ انها الحاجة الاساسية . فالناس لا يشترون كتابا رائجا لكي يطالعوه . انهم يشترونه لكي يمتلكوه . ان الكتاب الرائج هو شيء سحري ، حجر سحري . ويعتقد الناس بان مجرد اقتنائه يجعلهم اثرياء او بصحة جيدة او ذوي قوام جميل او جذابين جنسيا او سعداء . ان الكتاب الرائج هو حلم الجماهير » .

ملحمة الاغتراب

قصيدة بقلم :
خليل فاخوري

□□ قالوا اغتراب ! فقلت : اصغر يا قمر
لوجع بعد ان تسمع به السفر !

وغربة العبد كسر الغل في يده
وغربة الحر قيد ليس ينكسر ! ..

وكم مقيم على ذل وددت له
لو كان هاجر في ارض الاولى غيروا ،

وكم مقيم لدنياه ومقعدها
رغم اغتراب ، الا ، يا ظلم ، اعتبروا ..

**

او يرفع المصنع العالي ويشتجر ! ..
احسب عندي ممن عنده جبن ،
عمد كلنا للاستعطاء ينتحر ! ..

**

لبناننا حيث لا كبرة ولا حسد
وحيث يسكر مما يلعب الوتر ...

لبنان المنية في الكون طائرة ،
يا سمع ربي تلقفها ويا لظفر !

**

احدى ، ويبقون حتى تنتهي العمر ...

وقل لهم : كان لمني ماض مضرت به
ذاك العباب وعنه انتم خبر !

مجد يظلل اهل الارض كلهم ،
التي نمروا بين منه لكم الثر ...

حضارة خلعت الاسياف عاسرة
قالت لها : بعدنا الاسياف تنحسر ؟

انا على الحب نبني ... فاستمر بنا
يا ناقل العزم منقوشا كما الحجر !

**

يا ويح من باع من ارث الجدود على
من زعم المال خلف البحر ينفجر !

لا المال يخلق ، لا الاسفار تخلق لا ،
والها الهمة القعساء والخطر ! ..

**

جارف حتما او عاله الشيخ على قدر
فيستجيب اذا فالبسمة القدر !

لتلبنان بين مقيم عند مرتبته
ينابي ، ومغترب [illegible] البحر ،

هناك تحت [illegible] القفر [illegible] ،
وذاك عليه [illegible] [illegible] ..

لكننا [illegible] بنينا الارض [illegible]

قالوا : غدا سوف يأتي فوقه لهم
اهلون ، مركبا حسن هج ، منتصر ،

تلقاه على عتاب الجسر تأسره
يشمتون ، وفي العينين منهمر ...

قلت : يا ليتهم يبقون في وطن الاجداد
تعلو بهم أو تهبط الصور ،

[illegible]
[illegible]

**

يصفق الارز للتين [illegible]
اصالته وهبوا [illegible]

يا جذبه هزهم ، [illegible]

لبذاك مناض وهذا حاضر بطل
هنو اللاويب به الايام تستعر !

بلفلتين : طموح وابتكار يد
نعود عودة من جدوا فما هجروا ...

**

قالوا : هنا جبل لا ضاق مرتقا
وان يضق وسعته صوبها الزهر ...

حدود لبنان حيث الجهد مبتدع ،
وحيث يعفر عفر الشلقة الظفر !

حدود لبنان حيث الطائرون به ؟..
ضمها لمتسع حيث لم يحلم بها بشر ! ..

سأعود

□□ عندما تنحدر الشمس لتأخذ معها نهارا مضى . عندما تحمر حافة السماء خجلا من حنين الليل القادم . عندما اسمع آخر صوت لطائر عذبه طول المسير . عندما يأوي الجراد متعبا من حرارة الشمس . عندما يطلع اول نجم معلنا موت نهار . عندما يترنح الشوق على اجنحة النسيم . وعندما تنفلت الآهة وتكبر لتصبح نداء حب .. سأعود يا حبيبتي .

★ ★

عندما يتمرد النبات على غطاء الارض . عندما تصرخ البراعم تنطلق لترى نور الشمس . عندما يكسر الفرخ طوقه شوقا ليطير . عندما تشمخ السنابل وتسرق من الشمس لونها . عندما تتساقط اوراق الشجر لتجدد مهدا مع الربيع . عندما تتساقط الثلوج لتزيد الجبال مهابة وكبرا . وعندما تهب ريح الجنوب وتحمل الدفء الى الدنيا ، سأخلع معطفي وكذلك احزاني .. وعهدا سأعود يا حبيبتي .

عازف الناي ، اتدرين ، عندما يصعد الآهات وينفلت لحن الانين ؟ تحترق الآهة لتصبح نداء شوق ، وتخفت آهة اخرى لتكرس لحنا يذيب معه قسوة الحقد ، وفي النهاية ، يرقص لحن رقيق يترجم احلى ما في الوجود .. نغم الحب . عندما ينزف النهد وتخفت الآهة وتذبل العيون ، وتموت رعشة الانامل ، سأقول : احبك ، وسوف اعود .

★ ★

الصرخة العاتية ، صخب الموج ، عتمة الليل . قطيع الذئاب الجائعة ، وجه الصحراء الكالح ، مهابة الغابة ، الحقد الاسود ، كل هذه ، لا تخيفني ، بل انا اراك لا تبتسمين ابتسامة الفجر ، نسيم الصباح ، حمرة الخجل ، الجدول الصافي ، هديل الحمام ، سكون الظهيرة في الغابة ، كل هذه لا تعني شيئا اذ لم يكن في عينيك بريق من حنين ، وقسما سأعود يا حبيبتي ..

عبدالله بزي

كلّما تحدّقين ...

● وكلما تحدقين يا حبيبتي الي :
اعيش — تتفتح الحياة في من جديد
احس انني خلقت من جديد
كزهرة تفتحت
كنجمة تلالات
كبسمة توردت على فم الوليد .

★★

وتبسم الشموس لي
اذا تحدقين بي
ويبسم الأمل
لذلك الأمل
والآن الحياة حلوة جميلة
كنكهة القبل
فلست اعرف الذبول عندما
تحدقين بي
يطلني قلبي
ولست اعرف الملل .

★★

وعند ما اراك يا حبيبتي :
اطير المرح
وفي بحيرتي عيونك العميقة الظلال
اغوص اسبح
واعشق الزهور والربيع ، اعشق الجمال
اهيم في الخيال
اتيه يا حبيبتي .
بكل كبرياء
كانني الملاك في السماء
كانني المسيح اذ مشى
على بساط ماء .

□ مروان غانم ، كلية الآداب في جامعة دمشق

انتهاء

□ سيدتي
من بعد الان
لن اتغزل في عيني الغزلان
لن اعصر قلبي كلمات
فالايام تسير
تنذرني بالقادم خلف زمان الوصل
وانا من سوء الحظ
لم احسب بعد حساب الليل
فلننس الماضي ، او نتناساه
وليرجع الثين
ما وعدناه
فانا بالامس عشقت
ارهقت عيوني في سهري ..
وبكيت .. بكيت
وعلى ظهر الاهوال الى درب المجهول ..
عبرت
وتكسر مجدافي
لم ابها .. بالساعد جذفت
بالخشب تعلقت
وادرت الظهر للطم الريح
الآن .. ماذا بعد جنيت
لا شيء سوى الحسرة وذهول العينين
وكلام بشع
كالطبل يدق الاذنين

* * *

سيدتي
بالامس ابحرت اليك
لكنني اليوم اطير .. افرد الجناح
ابحث عن رحيق
فلترحل الاشواق والاحزان والنواح
« وليمض كل في طريق
وليمض كل في طريق » .

رمضان الصباغ ، كلية طب المنصورة

ينابيع الخلاص

هل هذا سيدك ؟

لا بد لكل انسان ان يكون له سيدما في هذه الحياة ، حرا كان ام لا . فحتى الرؤساء ، الامراء والملوك لهم اسياد ! واريد ان اذكر ثلاثة اسياد فقط .

اولا — الجسد !

فالجسد سيد كبير . وليس اهتمام كثيرين سوى في اجسادهم . فقد قال في هؤلاء النبي اشعياء ما يلي : «هوذا بهجة وفرح ، ذبح بقر ونحر غنم ، اكل لحم وشرب خمر . لنأكل ونشرب لاننا غدا نموت . » او كما وصفهم المسيح بان لسان حالهم هو : « ماذا نأكل ؟ ماذا نشرب ؟ ماذا نلبس ؟ » فالجسد هو سيد كبير يطيعه الكثيرون لارضاء رغباته وشهواته !

ثانيا — المال !

والمال سيد اكبر ! فاهتمام الملايين الاول هو جمع المال وادخاره ولو ان اموال بعضهم لا تحصى ولا تعد . وبهذا قال المسيح ايضا : « لا يقدر احد ان يخدم سيدين ... لا تقدرون ان تخدموا الله والمال . » وتحدث سليمان الحكيم عن الغنى يقول : « يوجد شر خبيث رأيته تحت الشمس — ثروة مصونة لصاحبها لضرره . فهلكت تلك الثروة بامر سيء . » اذن ، فالمال هو سيد كثيرين . وهو يوعز لهم فيطيعونه بصورة شرعية او غير شرعية ! وقد قال الرسول بولس ان « محبة المال هي اصل لكل الشرور . »

ثالثا — الجنس !

واقصد بذلك الجنس المحرم وغير الشرعي . فقد اصبح الجنس السيد الاعظم والرقم «١» في حياة الملايين اليوم ، بين الكبار والصغار ، الرجال والنساء ، الفقراء والاغنياء . فموجة الجنس تكتسح البلدان والقارات . انه سيد يخضع امامه الملايين ويركعون عنده طيعين وينحنون في وجهه مذلولين . انه سيد جبار ! وقد اسر الكبار والصغار ! الى ان ابتز اموالهم وحطم صحتهم وسلب شرفهم وشل ضميرهم ! فيا له من سيد قاس ظالم ، سيد الجنس المستبيح !

وما يزيد الطين بلة هو ما ندعوه « تقدم الانسانية ورقيها » ، الظاهر خاصة بالملابس الخلاعية التي ابتكرها عملاء ابليس وممثلوه واستنبطوها من بؤرة جهلم . فخسئا عليكن ايتها النساء ، انتن اللواتي غرقتن في هذا الخضم العميق من الفساد الخلقي والانحطاط الادبي باسم « الموضة » . وهل هناك من «الشرف» يأتيكن من هذا اللباس المشين القبيح ؟ انكن تهرعن ، لا الى هلاككن المحتم في جهنم فحسب ، بل تجرفن معكن ملايين الرجال ايضا !

وانا دار بالحقيقة انكن ستلسعنني بسياطكن وستنقمن وستتألبن علي وستنعتونني بالفلسفة والرجعية . ولكن هذا لن يهمني طالما اطيع الله واحاول ان اكون خادما امينا له بادانة كل خطيئة وفساد . وبلبس « تقدم » ينزل الانسان الى مرتبة الحيوان بخسرانه حياءه وعرضه جسمه للملأ ! اضيف ، فان كلمة الله تأمر النساء ان « يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل . » ويقول لكن الرسول بطرس ايضا : « لا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب . بل انسان القلب الخفي في العديمة الفساد ، زينة الروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن . فانه هكذا كانت قديما النساء القديسات ايضا المتوكلات على الله يزين انفسهن ، خاضعات لرجالهن . »

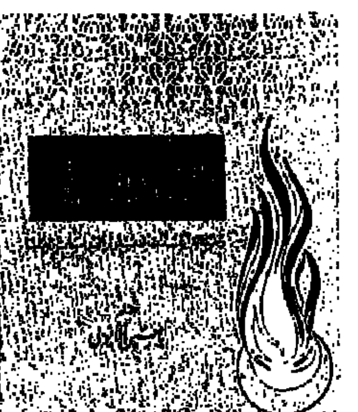
اما سليمان الحكيم فيوجه حديثه للرجال قائلا : « يا ابني ، اصغ الى حكمتي . امل اذنك الى فهمي . لحفظ التدابير ، ولتحفظ شفتاك معرفة . لان شفتي المرأة الاجنبية تقطران عسلا ، وحنكها انعم من الزيت . لكن عاقبتها مرة كالافسنتين ، حادة كسيف ذي حدين . قدماها تنحدران الى الموت ، خطواتها تتمسك بالهاوية ... ابعد طريقك عنها ولا تقرب باب بيتها ... لئلا تنوح في اواخرك عند فناء لحمك وجسمك ... لا يمل قلبك الى طرقها ولا تشرد في مسالكها . لانها طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها اقوياء . طرق الهاوية بيتها ، هابطة الى خدور الموت . »

فهل سيدك احد هذه الامور ام انك عبد جميعها ؟ اذن ، ان سيدك الحقيقي هو ابليس لانه سيد هذه الاسياد ! فهو يأمرك فتطيعه ، وقد صرت عبده الذليل !

ولكن ، اتريد ان تستبدل سيدك القاسي والعاتي ؟ اذن ، فاقبل « الان » الى المسيح ، هذا السيد المحب والصالح ، الذي بذل نفسه من اجلك وسفك دمه على الصليب ليغفر خطاياك ويحررك من سلطة ابليس ، سيدك الظالم الذي يجرك الى هلاكك الابدي في الجحيم !

كريم خاشو ، بعلشميه ، لبنان

(مجانا : كتاب العهد الجديد .)



□ « صفي الدين الحلي » : رسالة نال عليها ياسين الايوبي دبلوم الدراسات العليا في كلية الاداب في الجامعة اللبنانية ، وقد قضى ثلاث سنوات في اعدادها مستندا الى ستة وثمانين مرجعا بين قديم وعام وحديث ومجلات باللغتين العربية والفرنسية.

وتصور الدراسة الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية في عصر صفي الدين الحلي ، وسيرة حياتـه ، وآثاره وثقافته ، وطريقته في الشعر واسلوبه ، واغراضه الشعرية من مدح وغزل وفخر ورثاء ووصف وشكوى وعتاب واعتذار وهجاء وحكم وموشحات وازجال ، ويخصص الفصلين الاخيرين للنثر البديعي والفني والمرسل لدى صفي الدين ، ثم منزلة الشاعر وراي الدارسين وراي صاحب الدراسة الشخصي .

اما غير المألوف في معالجة ياسين الايوبي لهـذه الدراسة ، فهو بعض المواضيع الداخلية التي اتخذت لنفسها طابعا خاصا ، واهمها اثنان : صبغة الشعر العامة في العصر ، وشعر الازجال الشعبية .

والموضوع الاول غير مطروق بشكل مفصل وموسع ، وهذا ما دفع الدارس الى مطالعة كثير من شعر ذلك العصر وتامله واستخلاص المميزات العامة التي تضمنها . ولعل هذا العمل ، مع موضوع الازجال اهم ما في الدراسة . ذلك انه حتى الان ، لم تصدر دراسة واحدة تقيم المرحلة المعتمة من تاريخ ادبنا العربي الغابر ، ولا سيما ادب البيئة العراقية وما جاورها من اقاليم الادب ومشارفه.

يتساءل ياسين الايوبي عن الثمرة التي يمكن ان يجنيها القارىء من هذه الرسالة ويحاول الاجابة على ذلك بنفسه من خلال ما ورد في مقدمته .

« ليس الجواب بالسهولة المرجوة ، لاننا في زمن انحسرت فيه قيم الفكر والحضارة التالدة لتحتل مكانها قيم التكنولوجيا والحضارة الحاضرة . اما الذين لا يزالون يستمدون مقومات وجودهم وتفكيرهم وتحضرهم من التراث ، ويتطلعون الى غد اكثر غنى واصالة ، فيمكنهم ادراك ما اسهمت فيه هذه الرسالة .

كان همي الاكبر ، ان يعيد انسان العصر الحديث النظر بحقيقة ما انطوى عليه عصر الانحطاط ، سواء من جهة التردي الذي وصل اليـه ، ام من جهة العطاء الضئيل الـذي افرزته لنا قرائح رجالاته العلميـة والادبية . سيدرك عند ذلك ، بان ما تعارف عليه النقاد والمؤرخون من تسمية العصر « بالانحطاط » انما هو غبن كبير وصم به العصر ، دون ان يكون هنالك ما يبرر هـذه التسمية بعد ، لاننا ورثنا التسمية ، ولم نتحقق منها . فاين هي الكتب او البرامج او المحاولات التي رمت وترمي الى الاطلاع ، ولو الجزئي ، على ارجاء هذا العصر ؟ هل حاولنا التعرف الحقيقي والمباشر على ادبـه وفنه ؟ هل حاولنا التمرد على التسمية او التشكيك بها ولو مرة » ؟

ويامل ياسين الايوبي ان تسهم هذه الرسالة ، ما امكن ، في تفتيـح النوافذ ومد الجسور ما بيننا وبين هاتيك الازمان المقفلة المحاطة بكاسي من سحب الضباب الكثيف . يشير الى ان دراسته لم تحقق مما رسمه الا الخطوات الاولية ، وانه لا بد من دراسات اخرى اهم واعمق .

ومما كتب في الدراسة هذا القـول للدكتور اسعد علي « احتجاج ياسين الايوبي على دارسي عصر الانحطاط ، لا يجعل من العصر غير العصر ذاته، ولكنه يلقي مفتاحا ، وينير مصباحا .

مفتاح ومصباح ايوبيان ، يتحركان من لبنان ، في الوان صفي الدين ، المدبجة .. فـسهل يتحرك الدارسون معهمـا بمثل اعتداد « الحلـي ـ البيروني » .

سلي الرماح العوالي عن معالينا

واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا؟

بيض صنائعنا ، سود وقائعنـا

خضر مرابعنـا ، حمر مواضينا ..

والدراسة ، اجمالا ، مرجع غنـي من المراجع التي يمكن الاعتماد عليها في تقييم شعر صفي الدين الحلـي بوجه خاص ، وشعر عصر الانحطاط بشكل عام . وقد اكلست من اعصاب ياسين الايوبي ووهج عينيه ، فجاءت بمستوى الجهد الكبير الذي بذله لتسد ثغرة في المكتبة العربية وتضيف ملامح مبتكرة الى لوحة الشعر العربي في ذلك العصر .

(دار الكتاب اللبناني ، ..) صفحة ـ حجم كبير)

□ مرحلة ما قبل النضج هـي بالنسبة للاديب مرحلـة الاستعـداد لتفتح موهبته ، يمزق فيها كل ما يكتب ، او يكتفي بقراءته على بعض المقربين للاطلاع على رايهم ، الذي غالبا ما تطغى المجاملة فيه علـى الموضوعية .

اما ان ينشر المحاول في هـذه المرحلة ، فمسالة تدعو الى النظر . وقد ظهرت مؤخرا بادرة تلفت الاهتمام ، وهي صدور كتب تتضمن تاملات لفتيان لا يتجاوزون الخامسة عشرة . فبعد « السكوت المزهل » لخليل (الاطل الصغير) الذي يبلغ الرابعة عشرة ، صدر كتاب عنوانه « صديقي الله » لزياد رحباني ابـن الـ ١٥ سنة ، وقد سجل محاولته هذه منذ اكثر من ثلاث سنوات .

فعلى اي اساس ينبغي تقييم مثل هذه الاعمال ؟ على اساس العمر ؟ ام على اساس ان الكتاب هو مادة مطروحة في السوق الادبية ؟

اذا اخذنا بمبدأ الاتجاه الاول ، فان اي شيء يكتبه فتى في هـذه السن هو مقبول اجمالا ، بل يـدل على تفوق نسبي .

واذا اعتمدنا المبدأ الثاني ، فقد لا نجد شيئا يستحق النقد اوالتقييم.

فهل نلجأ الى اسلوب وسطي في التعريف عن كتاب من هذا النوع ؟

« صديقي الله» صلوات طفـولـة بريئة مؤمنة ، ونزهة لطيفة في قلب الله ، وطائفة من الرؤى المستقبليـة الواعدة ، وطـراوة في التعبير ، وسلاسة في الاداء ، ومرارة معاناة .

ما من مرة يصلي زياد رحبانـي الا وفي قلبه عصفور يلعب وغصن يلوح. يصلي بمنتهى الصراحة . يقول لربه :

« انا لم اعرفك تحمل صلبانا ، وتموت من اجلي

انا عرفتك ولدا لا يقدر ان يحمل الصليب

انا عرفتك ولدا يطير كالفراش فوق الزهر في الصباح

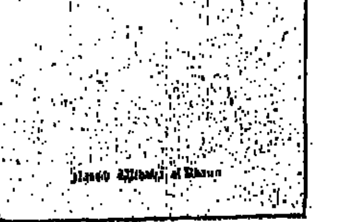
ولدا اضاع في كل غابة شالا

تسكنه العصافير » .

لا يريد زياد ان يصلي الا ما يفهمه. لا يحسد الله على معرفته مصير كل منا ، لانه ـ تعالى ـ قد يبكـي على مصير حزين بينما صاحبه سهران يضحك ، ولانه يعرف الفرح قبـل وقوعه فلا يرى مثلنا لذة المفاجأة .

ويخاف زياد ان يهرب الله ثانية في ازمنة الحروب ، لانه اذا غاب وعاد يرى الاسلحة معدة وموجهة اليه .

من يدري ؟ فقد يصبح الرحبانـي الجديد حلقة جديدة تضاف الى سلسلة العطاء الرحباني ـ الفيروزي المبدع الرائد .



□ هذا الكتـاب « لبنان تقشف ووطنية» القيم الذي وضعه الشيخ نسيب وهيبه الخازن باللغة الفرنسية ووزعته مطبعة انجليل يتضمن تاريخ لبنان القديم عبر مختلف العصور وفي ظل العديد من المذاهب والاديان التي ينتمي اليها بنوه . والكتاب في ثلاثة اجزاء ، ينطوي الاول منها على دعوة الى التسامح والتعاون ، وعلـى رجاء (ان يضم الرئيس سليمـان فرنجية الى منجزاته الوطنية خطـة تفيد للعمل الهادئ الذي يجمـع « مختلف طوائفنا » تقبل تاريـخ «امتنا») . اما الجزء الثاني الذي يتالف من خمسة فصول فيتضمن ابحاثا عن بطاركة انطاكية وتكوين الكنيسة والطائفة المارونية ومن اصالة القديس مارون ، في حين يتحدث المؤلف في الجزء الثالث ، وفي ثمانية فصـول ، عن السينودس اللبناني وبعثات مصر والسودان ، ودعاة الوحدة ورجـال الدين الارمن الكاثوليك ، والمكتبات الرومانية ، وعن «هندية» المـراة الخارقة ، ومندوبي روما لدى الموارنة، ثم عن ماساة ١٨٦٠ .

وقد جاء في مقدمة الكتاب علـى لسان المؤلف الشيخ الخازن : « كيف نريد ان تفهم الطوائف المتنوعة التـي تعيش في لبنان تاريخ هـذا البلـد وتتقبله على انه تاريخ امتها دون ان تعرف الروابط التي تجمع بينهـا ؟ وان وعي هذه الروابط هو العنصر الرئيسي للتكوين المدني ، وهو يتوفر باستيحاء الجهود المبذولة خلال قرون من الزمن والتي يعـود اليها الارث الوطني المشترك . وفي هذا المجـال يقول احد اقدم صحافيينا واشهرهـم ان لبنان يمر في هذه الايام بمرحلـة تجارب قاسية وانتفاضات حيوية . وكان على بلدنا ان يجمع بين المتناقضات ويحمل جميع الفرقاء على التفكر على الصعيد الوطني . وهذا المؤلف يكشف عن مساهمة التقشف في تكوين لبنان ، وهو تقشف نتلمسه لدى مختلف الطوائف ابتداء من مار مارون الذي تحمل احدى طوائفنا اسمه (القرن الرابع) حتى الامام عبد الرحمن الاوزاعي (القرن الثامن) الذي يحتوي رفاته المزار القائم في احدى ضواحي بيروت . ولبنـان، منذ ان كان ، هو بلد التسامـح والمحبة ، وقد دللت طوائفه خـلال السنوات الاخيرة على مزيد من التفاهم والتعاون ، وهي ظاهرة عبرت عنهـا المنشورات العديـدة والمحاضرات والمؤتمرات التي اصبح بلدنا مركـزا دوليا لها » .

ولعل اجمل ما يعرف عن الشيخ نسيب وهيبة الخازن الكلمات التالية التي توج بها سعيد عقل مؤلفـه الاخير : « لقد استطاع شيخ كسروان نسيب وهيبه الخازن ان يوفق ، في مؤلفاته العديدة ، وفي بانوراما معلاقة، بين الصوفية المسيحية التي تميـزت بها اسرته والعقلانية الغربية التـي وفرتها له ثقافته الجامعية ».



□ اصدرت الحلقة الادبية الارمنية اللبنانية عددا خاصـا يرصـد آخر تطورات الحركة الثقافية الارمنية في لبنان والخارج ، ويتضمن العدد ترجمـات الى الارمنية لمختارات طائفة من الشعراء اللبنانيين ، اسهاما في تامين المزيـد من التقارب الفكـري بـين الادبـين الحديثين العربي والارمني . وتستمر الحلقة في تصعيد نشاطاتها ضمـن خطة تهدف الى انفتاح العقل الارمني اللبناني المعاصر على مختلف التيارات الاخرى المشابهة في لبنان والخارج .

جعلوا ظهر الثورة يحدودب...

□□ اغرب ما يطالعك به بعض الناس ، من الذين في نفوسهم بشاعة توزع علـى جيش جرّار .. هو انهـم ، باستمـرار ، يسخرون كل « طاقاتهم الابداعية » من اجل الحرتقة والدس الرخيص على آخريـن ، لا يجدون متسعا عندهم للمحبة فكيف للحقد الابرص الطالع من ارحام الجنيّات والاحلام المزعجـة ؟!

وهـؤلاء الحاقدون ، وهم سم المجتمع وحشراته الشنيعة ، يظنون انهم عناتـرة زمانهم ، ويبداون باطـلاق « الآراء » .. ويوزعون صكوك النعمة على فلان وعلتان .. وهم ، لانهم مهيوبون اكثر من اللزوم ، شكلا ومضمونا ، واساتذة الفشل في كـل شيء ، يضحكون ضحكات صفراء لو افرزت ذراتها ووزعت على حدود بلاد مساحتهـا تبلغ مساحة الصـين الشعبيـة والصـين الوطنية التي « تخص » تشان كاي تشيك بما فيها فورموزا .. لمـلأت حدودهـا وفاضت . وهذه الضحكات « ضحكاتهـم التاريخية » التي صارت شاغلة الدنيـا ومالئة الناس .. لها اصوات مثل اصوات ايام الشؤم والنجاسة .. لكنهم مبسوطون كثيرا .. والقرد بعين .. نفسه غزال !

★ ★ ★

آه .. آه .. من هذه الايام التي صار فيها لكل « انسان » رأيه !

عفوا ، لئلا يُساء الفهم . هذا لا يعني نفيا للحرية .. بل احتراما وتقديسا للراي ..

آه .. آه .. هؤلاء ، الذين يتحدثون في الثورة والسياسة والادب والفن ... ويعتقدون بانهم « غيفاريو » هذا الزمن .. كم هم فظيمون !

ثوار هم .. ثوار .. من كعب الدست .. ولا يحرتق في الدست سوى العظـم !

لقد جعلوا ظهر الثورة يحـدودب .. ينقصم .. من كثرة ما « ثوّروهـا » .. واهانوها بافكارهم السباقة التي هبّجت وجه هذا الزمن ورعبنت على ان تهبّج وجه الزمن الآتي !

نكسوا راسها في وحل احقادهم وهوسهم ومصالحهم الشخصية .. وصارت القيم الثورية والسياسية والادبية والفنية .. محط كلام بذيء عندهـم .. ومساحـة كرتونية وسخة يضيفون اليها اوساخهم في كـل مناسبة ..

لقد مهّروا الكلمات .. افرغوها مـن معانيها الطاهرة المقدسة .. وقعـدوا ينتظرون النتائج ..

يتلونون مثل الحرباء ..

وقعدوا ينتظرون النتائج !

★ ★ ★

كم يبدون صغارا .. طفيليين .. هؤلاء المقعدون فكريا .. الذين لم يدركوا بعد ان طوفان النار آتٍ .. من كل مكان .. من تحت جلود الثوار ذوي الكرامات التـي ترسم خريطة جديدة لانسان جديد ..

★ ★ ★

فلت الملَق .. صار كل فظيع من هـؤلاء يفش خلقه بالحكي عن اي شيء ..

لو كانت الرجولة تشترى بمال .. لكنا دعونا الى تاليف لجنة من المواطنين لتشتري لهم الرجولة .. رجولة الكلمات والافعال .. لانهم .. بقدر ما هم اقزام في المواقـف تضاعفت عقد نقصهم فصاروا لا يعترفون باي شيء رائع ، يعملون على مسخ الحقيقة وجعلها على صورتهم ومثالهم ..

انهم جيل مغلوط .. يجب اعادة النظر جذريا بكل ما ينطوون عليه ..

لانهم لم يُصفعوا بعد كفاية ..

ولا بد من صفعهم بقساوة ..

★ ★ ★

هؤلاء المشدودون الى اعمدة اللعنة ... يتكاثرون في معظم المؤسسات .. ولا بد لمجتمعنا من النظافة ..

وبعيدا عن اي تحليل بسيكولوجـي او سوسيولوجي للمشكلة او اي شيء ينتهي ب « اوجي » .. فان المسالة واضحة وهي ان الكذب يستعمرنا ..

كذب سياسي وثقافي .. اما المصالحة مع النفس فهي في خبر « كان » او انهـا نسيت نفسها في مهرجان « كان » ..

وتبقى لدينا « ليت » و « لعل » ولكنهما يظلان ليت ولعل .. وعسى !

★ ★ ★

الطريق الواضح يبدأ من رؤية واضحة في الذات الانسانية .. دون هذه الرؤية كل شيء هراء .. مهما ضحك الحاقدون الذين يتكاثرون في هذه الفترة .. والذين انقـرض جنسهم من زمان ..

ومهما حاولوا اللعب على الحبلين .. فالاناء ، عادة ، ينضح بما فيه ...

أغنية الطريق

□□ غازلت اصابعك .. صرت اقـرا وجهك فوق صفحات الرؤيا .. وصار صوتك يمررني فوق الق الاحزان وجزر الغضـب والرعـب .

★★★

العالم مسوّر بالوجع .. وانت ، يا آتية من كل الفرادات .. تتمايلين فوق اسفار من الصحو تخترع يديك .. تخترع عينيك .. وتخترع المستحيل .

★★★

سافرت الى وطن رؤاك .. زادي هَـمّ وليل .. واملي ان القى في جـزر وطنك الرائي سر الصدفة .

★★★

تكونت فجاة امام عينيّ .. صرت اغنية الابد .. صرت ابراج الصمت .. وانـا وحدي مسكون برائحة غربتك التي بلـون الشفق .

★★★

سرّب السهر الى بيتك .. غازلتك خيوطه الدافئة .. صرت تنشدين له موّال الفرح .. وصار حزنه يشتد آن دخل دائرة فرارك .

★★★

توجعني رائحة غضبك .. تاسرني داخل آفاق الغربة .. تتركنـي مشدودا الـى جـدار الصقيع .. تعرّيني مـن اوهامي اللذيذة .. وتشتد فتنتـك في مفاصلي .. وتتسع مسافة الخرافات في ذهني ..

★★★

لو لم تكن « كان » فعلا .. ناقصا لكنتُ من زمان صديق اسرارك واشيائك الحميمة العالية مثل غصون النبل والعز .

★★★

حامت بك غمامة يغمرها ضوء الخفَر .. تواكبها كلمات توهج وترسم مخيلتك فـوق ازهار الغبطة .. وكنت انت اميرة الضياء الطالعة من اكـف الغرباء والمشردين فـي شوارع هذا العالم الحزين حتى العظم .. وكانت طلتك تذكر بالحنين الى شيء ابعد من هذا العالم .. مغمور بالهذيان واصوات الرعد القاصفة في اوطان الخيلاء .

★★★

وانت .. ايتها المتمردة الخـائفة مـن سطوك على احلام الناس .. تولدين فـي كل كلمة شوق تختال امامك .. وتورقين فوق اغصان الرغبة مثل اطفال الفجـاءات السعيدة ..

★★★

تعالي .. اسمع اغنية الطريق تقـودك الى عالمي .

رويد غانم